في تشريح الهزيمة

حرب يونيو 1967



خالد منصور

في تشريح الهزيمة: حرب يونيو 1967 بعد خمسين عامًا

بلال علاء، خالد فهمي، خالد منصور، سامح نجيب، محمد العجاتي، مصطفى عبد الظاهر

تحرير: خالد منصور

مراجعة لغوية/ أسماء يس

تصميم غلاف/ أميرة حسين

تنسيق داخلي/ أيمن عبد المعطي

الطبعة الثانية، القاهرة 2017

200 صفحة – 17×24 سم

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 2017/17634

الترقيم الدولي: 6-2-85330-977-978

تدمك/ 9789778533026

1: حرب يونيو 1967 – مصر

2: مصر – تاريخ – العصر الحديث – جمال عبد الناصر/ 1954–1970

أ – علاء، بلال (مؤلف مشارك)

ب – منصور، خالد (محرر)

962/065

دار المرايا للإنتاج الثقافي

تليفاكس: 20223961548+

موبايل: 201115902086+

البريد الإلكتروني: elmaraya@elmaraya.net

العنوان: 23 ش عبد الخالق ثروت، الطابق الثاني، شقة 17، القاهرة، ج م ع

في تشريح الهزيمة

حرب يونيو 1967 بعد خمسين عامًا

بلال علاء، خالد فهمي، خالد منصور، سامح نجيب
محمد العجاتي، مصطفى عبد الظاهر

تحرير: خالد منصور

دار المرايا للإنتاج الثقافي

المحتويات

الفصل السادس

هزيمة 67 الهيكلية والمستمرة

خالد فهمي

مقدمة

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد 14 مايو 1967، فوجئت القوات المسلحة المصرية بصدور توجيهات من نائب القائد الأعلى، المشير عبد الحكيم عامر، برفع درجة الاستعداد من "الاستعداد الدائم" إلى "الاستعداد الكامل". وما هي إلا ساعة واحدة حتى صدرت تعليمات جديدة بتعبئة القوات المقرر حشدها في سيناء، على أن يتم الحشد في مدة تتراوح بين 48 و72ساعة.

لم يفهم القادة السبب وراء هذه القرارات المباغتة. فمن المفترض أن مثل هذه التوجيهات تأتي من القائد الأعلى، أي الرئيس جمال عبد الناصر، وليس من نائب القائد الأعلى، المشير عامر. كما غاب مجلس الدفاع الوطني عن الصورة، ولم يتبين للقادة إن كان قد شارك في اتخاذ القرار أم لا. ولم تكن هناك أي شواهد جدية سابقة على أن هناك حربًا على الأبواب.

فمن علامات أن الأمور كانت تسير سيرها الطبيعي في الدولة عمومًا، وفي القوات المسلحة خصوصًا، أن وُجهت الدعوة إلى للفيلد مارشال برنارد مونتجمري، القائد السابق للجيش الثامن البريطاني، للحضور إلى مصر للاحتفال بمرور خمسة وعشرين عامًا على معركة العلمين، التي انتصر فيها مونتجمري على غريمه النازي الألماني إرفين روميل في الحرب العالمية الثانية. وبالفعل حضر المارشال مونتجمري إلى القاهرة وألقى كلمة يوم 13 مايو في أكاديمية ناصر العسكرية.

لكن سرعان ما تبين أن السبب وراء قرار التعبئة هو وصول معلومات سوفيتية إلى القاهرة تفيد بأن إسرائيل تقوم بحشد قواتها على الجبهة السورية، وأنها قد حشدت بالفعل من 11 إلى 13 لواءً مقسمة إلى قسمين، الأول جنوب بحيرة طبرية، والثاني شمال البحيرة.

كانت الجبهة السورية–الإسرائيلية قد شهدت مناوشات خطيرة على مدار الأسابيع القليلة السابقة، ووصلت تلك المناوشات إلى ذروتها يوم 7 أبريل، عندما اشتبك سلاح الجو السوري مع نظيره الإسرائيلي في سماء دمشق في معركة حامية اشتركت فيها أكثر من 130 طائرة، وكانت نتيجتها إسقاط ست طائرات ميج سورية.

وبما أن مصر كانت تجمعها بسوريا اتفاقية دفاع مشترك كانت قد وُقعت في نوفمبر من السنة السابقة، 1966، فقد رأت أن عليها أن تتحرك للدفاع عن حليفتها سوريا.

وما هي إلا ساعات حتى شاهد سكان القاهرة قوات الجيش وهي تخترق شوارع العاصمة في طريقها إلى الجبهة، في مشهد أقرب إلى استعراض عسكري منه إلى حشد تعبوي. ويقول الفريق صلاح الدين الحديدي (الذي كان قائدًا للمنطقة المركزية، وسيرأس فيما بعد المحكمة التي حاكمت قادة الطيران بعد الهزيمة) في كتابه "**شاهد على حرب 67**" نه "كان من الغريب حقًا أن تسلك هذه التحركات الضخمة في بدايتها من المنطقة لمركزية شوارع رئيسية في العاصمة، مارة بأكثر الميادين ازدحامًا بالمرور المدني العادي، رغم جود طريقين رئيسيين خارج المدينة الكبيرة، يمر أحدهما بالقرب من جبل المقطم (طريق

صلاح سالم) والآخر موازيًا للنيل (طريق الكورنيش). بل قد لا أكون مبالغًا إن قلت إن فكرة هذين الطريقين نشأت أساسًا لتسهيل التحركات العسكرية. وقد كان لي فرصة مناقشة أسباب اختيار قلب العاصمة لتمر فيها عشرات الآلاف من العربات والدبابات والمدافع، تحت شرفات أكبر السفارات الأجنبية في القاهرة، الصديق منها وغير الصديق، فأفهمت يومها أن هذا القرار لم يأت عفوًا، بل له أهداف قد يحققها هذا الاختيار الذي يعرض أمام الملأ عضلات القوات المسلحة"[1].

وفي يوم 16 مايو، أي بعد قرار الحشد بيومين، أرسل الفريق أول محمد فوزي رئيس هيئة أركان القوات المسلحة خطابًا إلى الجنرال آي جيه ريكي، قائد قوات الطوارئ الدولية على الحدود المصرية، يطلب منه "سحب هذه القوات فورًا".

وبعد قرار سحب قوات الأمم المتحدة بأقل من أسبوع، تحديدًا في يوم 22 مايو، ذهب جمال عبد الناصر إلى مطار أبو صوير في منطقة فايد على قناة السويس، وعقد هناك اجتماعًا مهمًا نقلته وكالات الأنباء وحضره المشير عامر، وقائد القوات الجوية الفريق أول صدقي محمود، وقائد الجبهة الشرقية الفريق أول عبد المحسن مرتجي، ونائب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء زكريا محيي الدين، ورئيس مجلس الأمة أنور السادات. أعلن عبد الناصر في هذا الاجتماع إغلاق مضيق العقبة في وجه الشحنات الاستراتيجية المتجهة إلى إسرائيل من نفط وسلاح وما شابه. ولعلمه بأن إسرائيل كانت قد دأبت على القول إنها ستعتبر إغلاق المضيق إعلان حرب عليها، ولرغبته في تفادي عداء الولايات المتحدة، أكد عبد الناصر في هذا الاجتماع، الذي حضره أيضًا العديد من الطيارين، أنه لا يريد تصعيد الأمر إلى درجة تستدعي تدخل الولايات المتحدة، ولذا "يجب علينا ألا نبادر بتوجيه الضربة الأولي لإسرائيل، بل أن نتلقاها"، لأن هذا "أمر لا مفر منه حيث إنه قرار سياسي اتُخذ كي يبطل أي حجة قد تتخذها أمريكا أو غيرها ذريعة للتدخل"[2].

كان المصريون يتابعون هذه التطورات السريعة بلهفة وشوق. فعلى مدار سنوات طويلة كانوا يسمعون بفخر أخبار جيشهم ويتابعون ما تتناقله الصحف عن الانتصارات التي يحققها في اليمن، حيث كان نحو سبعين ألف جندي مصري يحاربون "القوى الرجعية" ويدعمون جهود الرئيس عبد الله السلال في نقل بلاده إلى القرن العشرين. كذلك، وقبل

1 صلاح الدين الحديدي، **شاهد على حرب 1967** (القاهرة: دار الشروق، 1974).

2 عبد المحسن مرتجي، **الفريق مرتجي يروي الحقائق: قائد جبهة سيناء في حرب 1967**، (القاهرة: الوطن العربي، 1976) ص73.

تطورات يونيو 67 بأقل قليلًا من عام، تحديدًا في الذكرى الرابعة عشر لثورة يوليو، أي في 23 يوليو 1966، أقيم عرض عسكري مبهر في القاهرة شهده عبد الناصر مع قادة الجيش وتناقلته وسائل الإعلام. ظهر الجيش في هذا العرض قويًا مدججًا بالسلاح، وقيل للمصريين إنهم يمتلكون أقوى جيش في الشرق الأوسط. وبالفعل كان يحق لهم أن يفخروا بأن جيشهم من أكبر جيوش المنطقة. فالجيش كان يمتلك أكثر من 1300 دبابة (إسرائيل: 1000)، وأكثر من 1000 مدرعة حاملة للجنود (إسرائيل: 1500)، و950 بطارية مضادة للطائرات (إسرائيل: 550)، و431 طائرة مقاتلة (إسرائيل: 286).

ولذلك، فعندما اندلعت الأزمة أقبل الناس على قراءة الصحف والاستماع إلى الإذاعة بحماسة ولهفة. كانت عناوين الصحف تقول إن الانتصار على إسرائيل مسألة وقت ليس إلا، وتتوعد إسرائيل بالهزائم التي سيوقعها حتمًا جيشنا الجرّار في المعركة المرتقبة، وتبشّر بأن القوات العربية المشتركة ستلتقي قريبًا في تل أبيب، حيث ستقضي على الكيان الصهيوني وتعيد الأرض المغتصبة إلى أصحابها.

وفي يوم 1 يونيو وقفت أم كلثوم في سينما قصر النيل تشدو بأغنية "الله معك" التي لحنها رياض السنباطي وكتبها صلاح جاهين، وكانت تقول:

راجعين بقوة السلاح راجعين نحرر الحمى

راجعين كما رجع الصباح من بعد ليلة مظلمة

***

جيش العروبة يا بطل الله معك

ما أعظمك ما أروعك ما أشجعك

مأساة فلسطين تدفعك نحو الحدود

حول لها الآلام بارود في مدفعك

***

الله معك وكل حر شريف غيور

ويّاك وجنبك في لهيب المعركة

والنصر لك مهما العدو ساق الغرور

ومهما ساق المسكنة ولا أشتكى

***

غاصب لعين في كل دين

ودي فلسطين العرب

في كل خطوة معتدين الأرض تتفجر غضب

يغضب نسيم البحر والأمواج تثور

يا شعب يا منصور الله معك

***

يا أرض يا مسجونة سجنك راح يزول

شعبك على الأبواب مسلّح بالأمل

كلمة "فلسطين" زي دقات الطبول

بتقوّي وتحمّس وتدفع للعمل

***

راجعين بقوة السلاح راجعين نحرر الحمى

راجعين كما رجع الصباح من بعد ليلة مظلمة

وفي اليوم التالي، 2 يونيو، عقد عبد الناصر اجتماعًا مهمًا مع قادة الجيش في مكتب المشير عامر في مبنى القيادة العامة في مدينة نصر بالقاهرة. حضر الاجتماع من معاوني الرئيس ومستشاريه: أنور السادات وزكريا محيي الدين، ومعهما نائب رئيس الجمهورية حسين الشافعي والأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي علي صبري. كما حضره لفيف من أعوان المشير عامر ومنهم: وزير الحربية شمس الدين بدران، وقائد القوات الجوية الفريق صدقي محمود ومساعدوه، ومدير الأركان بالقيادة العليا اللواء علي عبد الخبير. كما حضر أيضًا رئيس أركان القوات المسلحة الفريق أول محمد فوزي، ورئيس هيئة العمليات الفريق أنور القاضي، ومدير المخابرات الحربية اللواء محمد صادق، ورؤساء الهيئات العسكرية، وبعض مديري الإدارات. وتغيّب عن الاجتماع: قائد القيادة الشرقية (أي قائد الجيش الميداني) الفريق صلاح محسن، وقائد الجبهة الشرقية الفريق عبد المحسن مرتجي، ورئيس أركان القوات الجوية الفريق جمال عفيفي.

تناولت الكثير من الأقلام هذا الاجتماع الموسّع بالوصف والتحليل[3]. ففيه أكد عبد الناصر أن مصر كسبت المعركة السياسية وأن إسرائيل خسرتها على طول الخط، ولكن من الناحية الأخرى فإن الظروف الدولية تحتم عدم اتباع استراتيجية عدوانية حتى لا نضحي بموقف أمريكا وسائر الدول الكبرى. ومن ثم فقد أمر ناصر قادته العسكريين ألا يبادروا بتوجيه الضربة الأولى لإسرائيل وأن تتلقى مصر تلك الضربة، مما سيحتّم عليهم العمل من أجل تشديد الدفاع الجوي وتحصين المطارات.

قوبل موقف عبد الناصر هذا باستهجان واعتراض شديدين. ذلك أن تلقي الضربة الأولى كان يعني التسليم للعدو بالمبادرة، إضافة إلى حتمية تلقي خسائر جسيمة قدَّرها الفريق صدقي محمود بما بين 15 إلى 20% من القوات الجوية. ولكن عبد الناصر صمم على رأيه، وطالب الفريق صدقي محمود بالعمل حثيثًا على تقليل هذه النسبة.

كما أكد عبد الناصر أن احتمالات نشوب الحرب قد أصبحت 100% بعد تشكيل حكومة حرب في إسرائيل وتعيين موشي ديان وزيرًا للدفاع فيها. وبعد أن تساءل عن

---

3 محمد فوزي، **حرب الثلاث سنوات 1967-1970: مذكرات الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية الأسبق** (القاهرة: دار المستقبل العربي، 1990) ص122-124؛ صلاح الدين الحديدي، **شاهد على حرب 67** (القاهرة: دار الشروق، 1974) ص169-162؛ ممدوح أنيس فتحي، **مصر من الثورة إلى النكسة: مقدمات حرب حزيران/يونيو 1967**، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2003) ص363-364.

موعد وصول القوات العراقية إلى الجبهة الأردنية، وأُجيب بأنه يُتوقع وصولها بعد ثلاثة أيام، استنتج عبد الناصر أن إسرائيل لن تنتظر حتى تصل هذه القوات إلى الأردن، بل ستبدأ العمليات العسكرية ضدنا بعد يومين أو ثلاثة، أي أن الهجوم على المطارات المصرية سيتم في الأغلب في صباح يوم الاثنين 5 يونيو.

ومن المصادفات الفريدة أن قرارًا بهذا المعنى كان قد اتُخذ بالفعل في إسرائيل قبل ذلك بساعات قليلة. ففي الساعة التاسعة من صباح اليوم نفسه، الجمعة 2 يونيو، اجتمع الساسة مع العسكر في تل أبيب، واستمع الوزراء إلى تحليل الضباط عن الموقف وتعرّفوا على خططهم لتدمير القوات المسلحة المصرية عن طريق عملية هجومية. كان هناك تململ من بعض الساسة، وعلى رأسهم رئيس الوزراء ليفي إشكول، الذين اعتبروا أن الهجوم على مصر قد يكون متعجلًا وأنه يجب عدم استثارة الولايات المتحدة ببدء الحرب. لكن وزير الدفاع ديان حسم النقاش بقوله إن أي تأخير في الهجوم قد يساعد المصريين على استكمال خططهم الدفاعية ولذا يجب التعجيل. وبالفعل اتفق ديان، ووزير الخارجية أبا إيبان، ونائب رئيس الوزراء إيجال آلون، ومدير مكتب رئيس الوزراء يعقوب هيرتزوج، ورئيس الأركان إسحق رابين على أن يبدأ الهجوم قبل نهاية يوم الاثنين 5 يونيو. وعندما عُرض القرار على مجلس الوزراء بكامله يوم 4 يونيو، أعطى الضوء الأخضر لبدء القتال بضرب المطارات المصرية بين الساعة الثامنة والساعة التاسعة من صباح اليوم التالي. وكان هذا التوقيت مبنيًا على اقتراح قائد القوات الجوية موردخاي (موتّي) هود، الذي قال إن هذا أنسب وقت لأن الطيارين المصريين من عادتهم تناول إفطارهم في تلك الساعة[4].

كان الفارق الوحيد بين تقدير عبد الناصر والقرار الإسرائيلي أن عبد الناصر اعتقد أن أوضاع الجبهة الأردنية بوصول القوات العراقية ستكون العامل الحاسم في التوقيت، بينما رأى الإسرائيليون أن التطورات على الجبهة المصرية وعدم استعداد القوات المصرية هو العامل المحوري. لكن المهم أن تقدير عبد الناصر كان صائبًا ودقيقًا، سواء في توقيت الهجوم الإسرائيلي (يوم 5 يونيو) أو طريقته (هجوم منظم على المطارات).

وكما تنبأ عبد الناصر، شنت إسرائيل بالفعل هجومها صباح الاثنين 5 يونيو. ولكن عوضًا عن قيام قوات الدفاع الجوي المصرية بالتعرّض للمقاتلات المغيرة، أخذت هذه المقاتلات في قصف المطارات المصرية كلها مرة واحدة دون أن تلقى أدنى مقاومة. في

---

4 Yitzhak Rabin, **The Rabin Memories** (California: University of California Press, 1996) pp.96-99.

بداية كل هجوم، كانت المقاتلات الخفيفة تنخفض إلى ارتفاع 200 قدم فقط، فتلقي قنابل جديدة سمّتها إسرائيل "خارقة الأسمنت" لتدمير مدرجات الطائرات، ثم تقوم موجة ثانية من الطائرات المقاتلة باستهداف الطائرات المصرية الرابضة في المطارات، قبل أن تُنهي موجة ثالثة المهمة بإلقاء قنابل موقوتة معدّة للانفجار على ممرات الهبوط بعد ساعات، الأمر الذي جعل إصلاح هذه الممرات مستحيلًا، وأعاق إقلاع الطائرات القليلة التي نجت من القصف.

بدأ القصف في الساعة التاسعة إلا ربعًا بضرب مطارات العريش، وبير جفجافة، وغرب القاهرة، وجبل لبني، وبير تمادة، وأبو صوير، وأنشاص، وفايد، وكبريت. وفي الساعة الحادية عشر ضُرب مطارا المنصورة وحلوان، وبعدها بربع ساعة ضرب مطار المنيا، وفي الساعة الواحدة ظهرًا ضرب مطار بلبيس، وفي الساعة الواحدة والنصف مطارا الأقصر والغردقة، وقبل أن ينتهي اليوم قُصف مطار القاهرة الدولي الساعة السادسة والربع. وكان من نتاج هذه الهجمات الإسرائيلية المتتالية أن دُمر 85% من سلاح الجو المصري، وأصبح 100 ألف جندي في سيناء بلا غطاء جوي.

ولم تكد تمر 36 ساعة حتى أصدر المشير عبد الحكيم عامر قرار الانسحاب المشؤوم. فعندما وصلته أنباء الغارات الإسرائيلية المتزامنة على جميع المطارات المصرية، وبعدما أدرك أن جيشه في سيناء بات محرومًا من أي غطاء جوي، أصدر أمرًا بالانسحاب الشامل في الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي، 6 يونيو. وكان يُفترض أن يستغرق سحب القوات إلى الضفة الغربية لقناة السويس ثلاثة أيام وليلتين، ولكن الانسحاب تم بطريقة بعيدة كل البعد عن أن تكون مدروسة أو منظمة؛ فرّ القادة الميدانيون من ساحة المعركة، وتركوا رجالهم يواجهون مصيرهم. وبغياب الغطاء الجوي، وانهيار مراكز القيادة والسيطرة، انفرط عقد الجيش تمامًا، واستحالت الوحدات القتالية فلولًا مهرولة شرقًا تجاه القناة في مشهد من التخبط الشامل قل مثيله في التاريخ العسكري برمته. وأخذ سكان القاهرة طوال يوم 7 يونيو يشاهدون فلول الجيش زاحفين على الهايكستب في البداية، ثم على شوارع وميادين العاصمة بعد ذلك، وهي الشوارع والميادين نفسها التي استعرض الجيش فيها قوته قبل أيام قليلة.

وبالرغم مما شاهدوه بأعينهم في شوارعهم وأحيائهم، إلا أن المصريين كانوا بعد يسمعون عبد الحليم حافظ يغني "يا أهلًا بالمعارك" وأحمد سعيد في إذاعة صوت العرب يبشّرهم بأن طلائع الجيش على أبواب تل أبيب. ورغبة منهم في استجلاء الأمر، أقبل المصريون

على قراءة آخر الأخبار، فكانت صحيفة "المساء" تبشرهم يوم 6 يونيو بأن النصر أمسى قاب قوسين أو أدنى وبأن "الجيش العربي يزحف إلى تل أبيب".

وبحلول يوم 8 يونيو كان الجيش العربي "الزاحف إلى تل أبيب" قد سقط منه عشرة آلاف جندي، أي عُشر عدد جنوده الذين حُشدوا للجبهة، و1500 ضابطًا، كما وقع في الأسر 5000 جندي و500 ضابطًا (بناءً على ما جاء في خطاب عبد الناصر الذي ألقاه يوم 23 نوفمبر 1967). وبالإضافة إلى تدمير سلاح الطيران، ترك الجنود وراءهم 85% من عتاد الجيش، من دبابات ومدرعات ومدافع. وأمسى الطريق إلى القاهرة مفتوحًا، والبلد بلا جيش يحميها. وفي نهاية اليوم نفسه، 8 يونيو، أصدر عبد الناصر أوامره إلى مندوبنا في الأمم المتحدة، محمد عوض القوني، بقبول قرار وقف إطلاق النار، دون التمسك بضرورة أن ينص القرار على العودة إلى خطوط 4 يونيو، وهو ما يعني التسليم بفقدان سيناء التي سقطت كلها في أيدي الإسرائيليين.

قبل أن يفيق الناس من فجيعتهم، أطلّ عليهم الرئيس عبد الناصر في مساء يوم 9 يونيو ليعلن مسئوليته عما حدث ويقدم استقالته ويعرض تنحيه عن الحكم. وما أن سمعت الجماهير صوت قائدها يقول لهم "لقد اتخذت قرارًا أريدكم جميعًا أن تساعدوني عليه: لقد قررت أن أتنحى تمامًا ونهائيًا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي، وأن أعود إلى صفوف الجماهير، أؤدي واجبي معها كأي مواطن آخر"، حتى خرجت إلى شوارع القاهرة تطالب "ناصر" بالعدول عن قراره.

يصف الكاتبان الفرنسيّان جاك دومال وماري لوروا، اللذان شهدا الحدث، مشهد الجموع الزاحفة على بيت عبد الناصر تطالبه بالبقاء: "كان الجميع يهتز ويزحف، حتى إذا طلع الفجر، انبثق مشهد عجيب: عاصمة كبيرة، تفوق مساحتها مساحة باريس، غشيتها أمواج شعبية هائلة، لا تعد بمئات الألوف مثلما حدث سنة 1936، بل بالملايين. تلك الملايين التي كانت قد صفقت مرارًا لجمال، والتي كان الزعيم قد انتظر عبثًا، في 1952، "سيرها، صفوفًا متراصة، في زحفها المقدس"، ها هي ذي أخيرًا، صفوفًا متراصة، ها هي بالملايين، ولكن ليس في ساعة النصر، بل في ساعة الضيق، ساعة الأصدقاء الحقيقيين، ساعة المحنة. ولا يمكن لمن لم يشاهد الزحف الكبير بنفسه، أن يتصور شوارع مصر الجديدة

الواسعة مثل شارع الشانزليزيه وقد امتلأت بحشود لا حصر لها، حتى أصبح من المستحيل مرور بائعي المرطبات والسندوتشات والحلوى."[5]

وعندما وصلته أخبار الملايين التي تطالبه بالعدول عن التنحي، وبعدما تلقى عشرات الرسائل من رؤساء الدول والحكومات، أرسل عبد الناصر رسالة إلى أنور السادات، رئيس مجلس الأمة، ليقرأها على أعضاء المجلس بعد أن تعذر عليه التحرك من منزله. في هذه الرسالة قال عبد الناصر "لقد استقر رأيي على أن أبقى في مكاني وفي الموضع الذي يريد الشعب مني أن أبقى فيه حتى تنتهي الفترة التي نتمكن فيها جميعًا من أن نزيل آثار العدوان".

وما أن تم تجاوز الصدمة، حتى حان وقت العمل الجاد لإعادة بناء القوات المسلحة. ففي اليوم التالي مباشرة، 11 يونيو، وقّع عبد الناصر قرارًا بقبول استقالة القادة العسكريين المسئولين عن النكسة: قائد القوات الجوية الفريق أول صدقي محمود، وقائد القوات البحرية الفريق أول سليمان عزت، والفرقاء الأول أحمد حلمي إمام وهلال عبد الله هلال وعبد المحسن مرتجي وجمال عفيفي، بالإضافة إلى الفريق أنور القاضي. كما أحال عبد الناصر إلى التقاعد كل من: اللواءات عبد الرحمن فهمي وعثمان نصار وحمزة البسيوني واللواء طيار إسماعيل لبيب. وعلى الرغم من إلحاح المشير عبد الحكيم عامر على عودته إلى منصبه، إلا أن الرئيس عبد الناصر تمسك برأيه بضرورة إبعاد المشير عن القيادة، وهو ما كان الرجلان قد اتفقا عليه معًا ليلة 8 يونيو في مقر القيادة العامة للقوات المسلحة.

بعد أن تخلص من هذه القيادات منعدمة الكفاءة، عيّن عبد الناصر كل من الفريق أول محمد فوزي قائدًا عامًا للقوات المسلحة، والفريق عبد المنعم رياض رئيسًا لهيئة أركان القوات المسلحة، والفريق طيار مدكور أبو العز قائدًا للقوات الجوية، والفريق صلاح محسن مساعدًا للقائد العام للقوات المسلحة، واللواء بحري فؤاد ذكري قائدًا للقوات البحرية. بهذه القيادة الجديدة، وارتكانًا على التفويض الذي ناله من الجماهير يومي 9 و10 يونيو، بالإضافة إلى شحنات الأسلحة الجديدة التي كانت قد بدأت ترد من الاتحاد السوفيتي، بدأ عبد الناصر الإعداد الجدي لمواجهة إسرائيل عملًا بالمبدأ الذي رفعه: "ما أُخذ بالقوة لا يُسترد

5. Jack Daumal & Marie Leroy, **Gamal Abd-el-Nasser** (Paris: Editions Seghers, 1967)

بغير القوة". وما هي إلا شهور قليلة حتى اندلعت حرب الاستنزاف، أو حرب الثلاث سنوات كما سماها الفريق أول محمد فوزي.

اختفى عبد الناصر من الساحة بعد ثلاث سنوات من النكسة، واعتلى الحكم رئيس جديد، وتبدلت قيادات، وتغيرت رئاسات، ولكن العزيمة والإصرار على القتال لم يتغيرا. وأثبت الجندي المصري أنه لو توفرت له قيادة رشيدة وأُعطي سلاحًا جيدًا فبإمكانه تحقيق النصر. وكانت حرب أكتوبر خير دليل على ذلك. فبهذا النصر المجيد استطعنا، كشعب، وكقيادة، العبور فوق النكسة، فاستعدنا عافيتنا، ورُدت إلينا كرامتنا، وحررنا الأرض المسلوبة.

هذه، باختصار، هي السردية الشائعة عن هزيمة يونيو 1967. وكما هو واضح، فحسب هذه السردية لم تكن حرب يونيو إلا نكسة أُصبنا بها، لكن سرعان ما تعافينا منها وتخطيناها. فبقدر ما كانت الهزيمة العسكرية ثقيلة، بقدر ما كانت العزيمة والإصرار على تخطي هذه الهزيمة قويين، بقدر ما كان النجاح والانتصار اللذان تحققا في أكتوبر 1973 مبهرين.

مروّج هذه السردية الرئيسي هو محمد حسنين هيكل، الذي كان مسئولًا عن جهاز الدعاية لدى عبد الناصر، والذي تُعتبر كتاباته مصدرًا لا غنى عنه لتأريخ تلك الساعات المأساوية التي غيّرت مصير مصر والشرق الأوسط إلى الأبد. هيكل هو من صك مصطلح "النكسة" لوصف تلك الهزيمة الساحقة، وهو من أهم من صاغوا مفردات السردية بفصولها المتتالية.

ولكن هل كانت الهزيمة مجرد هزيمة عسكرية نجحنا في تحويلها إلى نصر مبين بعد الإصرار على التخلص من القيادات الفاسدة واستبدالها بأخرى منضبطة وعلى درجة كبيرة من المهنية والاحتراف؟ أم كانت هزيمة هيكلية للنظام السياسي والاجتماعي والثقافي وليس فقط للمؤسسة العسكرية؟ وهل كان ما أصابنا في 67 مجرد نكسة تمكّنا من التغلب عليها وتخطيها؟ أم أننا ما زلنا نعيش الهزيمة؟

خمس مراحل مفصلية في الأزمة

لو أمعنا النظر في الأزمة التي اندلعت يوم 14 مايو، والتي أفضت إلى الحرب يوم 5 يونيو، لظهرت لنا تفاصيل تدعونا للتساؤل عن عمق الهزيمة وأسبابها، وعن آليات صنع القرار،

وتحديدًا عن علاقة مؤسسة الرئاسة بالمؤسسة العسكرية، وعن العلاقات الشائكة داخل المؤسسة العسكرية نفسها.

للإجابة على هذه التساؤلات سنتوقف عند خمس محطات مفصلية في أثناء هذه الأيام الحرجة. وكما سيوضح العرض المختصر التالي، فإن كل واحدة من تلك المحطات الخمس تظهر نزاعًا خفيًا، وإن كان جوهريًا ومحوريًا، في صلب مؤسسة الحكم. هذا النزاع كان من أهم أسباب الهزيمة الساحقة التي مُنينا بها في 67.

أولًا: أمر الحشد يوم 14 مايو

لنبدأ بأمر حشد القوات لسيناء يوم 14 مايو.

للتأكد من دقة المعلومات التي أبلغها السوفيت لعبد الناصر، والتي أفادت بقيام إسرائيل بحشد قواتها على الحدود مع سوريا، أمر المشير عامر رئيس الأركان محمد فوزي بالسفر إلى سوريا لاستطلاع الأمر. وبالفعل سافر فوزي يوم الأحد 14 مايو، وتبين له أن هذه المعلومات غير صحيحة. فقد طاف بنفسه بطائرة على الحدود ولم يتبين أي وجود لحشود غير معتادة، بل إنه وجد أن السوريين أنفسهم غير عابئين بهذه الأخبار ولا يدرون عنها شيئًا.

وعلى الرغم من تأكده من عدم وجود حشود إسرائيلية، وتوصيله تلك المعلومات إلى المشير فور عودته إلى القاهرة في اليوم نفسه، إلا أن أمر حشد القوات لسيناء الذي كان قد اتُخذ صباح هذا اليوم (كما هو مشروح أسفل) لم يُراجع، بل جرى الإسراع في تنفيذه.

وإذا كان الدافع وراء تبليغ السوفيت معلومات مغلوطة لمصر عن حشود إسرائيلية على الحدود السورية قد أثار الكثير من التساؤلات[6]، فإن الغرض من أمر حشد القوات المصرية لسيناء أيضًا تحوم حوله الشبهات ويطرح الكثير من الأسئلة. فما هي الأهداف من وراء هذا الحشد؟ ما السبب الذي دفع القيادة العسكرية المصرية إلى توجيه أكثر من 100 ألف فرد إلى سيناء في غضون أيام قلائل؟ وفي ضوء أن القوات المسلحة المصرية لم تمتلك خطة هجومية، وإنما كان لديها خطة دفاعية اسمها "قاهر" صُدّق عليها في ديسمبر 1966، فالسؤال الذي يفرض نفسه هو: هل كان الغرض من الحشد استدراج إسرائيل

Isabella Ginor and Gideon Remez, **The Spymaster, the Communist, and Foxbats over Dimona: The USSR's Motive for Instigating the Six-Day War**, Israel Studies, Vol.11, No.2, Summer 2006, pp.88-130. 6

إلى سيناء ثم تفعيل الخطة قاهر بغرض تدمير القوات الإسرائيلية؟ أم الإبقاء على الحال الجديد (بعد الحشد) وعدم تحريك ساكن بعد ذلك؟ أم القيام بهجوم شامل على النقب؟ أم التمترس داخل سيناء وخوض حرب استنزاف طويلة الأمد بغرض إضعاف إسرائيل استعدادًا للهجوم عليها حينما تتاح الفرصة مستقبلًا؟

هذه هي الأسئلة التي نعرف الآن أن المخابرات الحربية الإسرائيلية طرحتها على نفسها آنذاك في محاولة لتفسير قرار الحشد المصري، وهي أسئلة قد تكون لاحت أيضا في خاطر الكثيرين من القادة المصريين دون أن يجدوا لها أجوبة. فكل القادة كانوا على علم بأن القوات المسلحة لم تكن مستعدة سنة 1967 لخوض حرب مع إسرائيل، خصوصًا في ظل وجود ثلثي حجم قوتها الضاربة في اليمن.

فالفريق أنور القاضي، رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، يقول في حديث أدلى به إلى مجلة "آخر ساعة" في 1988 إنه قد فوجئ بأمر الحشد يوم 14 مايو. كان القاضي يعلم أولًا أنه لم تكن هناك قوات ضاربة كافية للمواجهة العسكرية مع إسرائيل، فقد كانت القوات الرئيسية للجيش المصري على بعد ألفي كيلو متر في اليمن؛ وثانيًا أنه لم تكن هناك ميزانية حرب مخصصة للمواجهة العسكرية مع العدو، بل على العكس جرى تخفيض ميزانية القوات المسلحة قبل صدور أمر الحشد بشهر واحد؛ وثالثًا أنه لم تكن هناك خطة استراتيجية موضوعة للعمليات الهجومية -باستثناء الخطة قاهر الدفاعية ومستحيلة التنفيذ- كما لم تكن هناك واجبات محددة في القيادة العامة تتم على أساسها تحركات القوات المصرية في سيناء. وفوق ذلك كله، يضيف القاضي أن هيئة العمليات كانت قد وضعت تقريرًا في أواخر سنة 1966 "حذرت فيه من القيام بمواجهة عسكرية مع إسرائيل، ولفترة زمنية طويلة قادمة... ومن القيام بأية عمليات هجومية، حتى ولو كانت صغيرة، بحيث لا يتم ذلك إلا بعد عودة القوات المصرية الأساسية من اليمن"[7].

بناء على ذلك كله، فإن أهم سؤال يتعلق بأمر الحشد ليس ذلك المتداول بين المؤرخين والدارسين، والمتعلق بأغراض الروس من وراء إشاعة أخبار خاطئة ومضللة، بل: لماذا اتخذت القيادة المصرية قرار التعبئة العامة ورفع درجة الاستعداد وحشد 100 ألف جندي

7 محمد وجدي قنديل، **أسرار يونيو 67: حوار مع أنور القاضي**، آخر ساعة، 8 يونيو 1988، ص8-11.

لسيناء مع ما يحمله ذلك من خطر نشوب قتال حقيقي، مع علمها يقينًا أن القوات المسلحة غير مستعدة من كافة الأوجه لمواجهة العدو الإسرائيلي؟

لنقرأ رواية هيكل في محاولته الإجابة على هذا السؤال. يقول هيكل في كتابه "**الانفجار**" إن عبد الناصر استدعى عامر إلى بيته مساء يوم السبت 13 مايو لدراسة الوضع في ضوء المعلومات الروسية عن الحشود الإسرائيلية على الحدود السورية[8]، ويضيف أن عامر وصل إلى بيت ناصر في منشية البكري في الساعة السابعة والنصف مساءً، وأنهما –عامر وناصر– اتفقا على دعوة أركان حرب القوات المسلحة إلى اجتماع طارئ في اليوم التالي، الأحد 14 مايو، لدراسة ما يمكن اتخاذه من إجراءات.

وفقًا لهيكل، وصل عبد الناصر إلى مكتبه في السابعة والربع من صباح الأحد، بعد ساعات قصيرة من النوم المتقطع، وأخذ يحضّر لاجتماع هيئة الأركان. هنا يضيف هيكل تفاصيل تبدو غير أساسية عن انشغال عبد الناصر بمناقشات مع من أسماهم زملاء ناصر ومعاونيه، ومنهم نائب الرئيس زكريا محي الدين، ورئيس الوزراء صدقي سليمان، ونائب رئيس الوزراء للشئون الخارجية محمود فوزي، والأمين العام للاتحاد الاشتراكي علي صبري، وعدد من أعضاء اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكي.

النقطة المهمة هنا هي أن هيكل في سرديته لهذه الساعات الحاسمة قال إن ناصر أجرى تلك المناقشات "بعد ذلك"، مما قد يعني أن عبد الناصر أجراها بعد اجتماع هيئة الأركان، إلا أنه رغم ذلك أوردها في كتابه بعد وصفه للحظة دخول عبد الناصر مكتبه في الساعة السابعة والربع صباحًا انتظارًا وتمهيدًا لاجتماع هيئة الأركان.

في رأيي أن هذه ألعوبة من ألاعيب هيكل المعتادة، قصد بها تشتيت انتباه القارئ عن التسلسل الصحيح الأحداث. لأن النقطة المحوريَّة في أحداث ذلك اليوم هي أن عامر لم يتواصل مع عبد الناصر للتحضير لاجتماع هيئة الأركان، بل اتصل به تليفونيًا بعد أن بدأ الاجتماع بالفعل في غياب هذا الأخير. وفي هذا الاتصال نقل عامر لناصر أنهم في هيئة الأركان قد توصلوا بالفعل إلى إجراءات بتحرك تشكيلات متتالية تتوجه على الفور إلى سيناء وتحتل مراكزها هناك[9].

---

8 محمد حسنين هيكل، **حرب الثلاثين عامًا: الانفجار 1967** (القاهرة: دار الشروق، 1990) ص447.
9 محمد حسنين هيكل، **الانفجار**، ص451.

يقول هيكل: "لا يستطيع أحد أن يقطع بتفاصيل ما دار بين الاثنين في هذا الحديث التليفوني، وربما أن الإشارة الوحيدة التي يمكن بالاستنتاج أن تشير إليه هي عدد من الإضافات كتبها عامر بخط يده على المشروع الأصلي لتوجيهاته إلى القوات المسلحة".

مرّة أخرى يشتت هيكل قارئه، فيفرد صفحتين لنص تلك التوجيهات والتعديلات التي أحدثها عامر بناءً على حديثه مع عبد الناصر، بينما الحقيقة الأهم هي أن تلك التعديلات، وكذلك المناقشات التي أجراها عبد الناصر مع معاونيه، ليست هي لبّ الموضوع. لبّ الموضوع هو أن عبد الناصر لم يذهب إلى اجتماع هيئة الأركان، وأن عبد الحكيم عامر هو الذي رأس هذا الاجتماع، وأن قرار التعبئة والحشد قد اتُخذ بالفعل في هذا الاجتماع الحاسم، وأن عبد الناصر لم يُستشر إلا قبيل انتهاء الاجتماع، وأن هذه الاستشارة جرت تليفونيًا. بمعنى آخر، فإن قرار الحشد التعبوي الذي كان بداية الأزمة التي أدت إلى هزيمتنا في حرب 67، اتخذه عبد الحكيم عامر مع شلته ولم يتخذه جمال عبد الناصر مع معاونيه.

ثانيًا: قرار طرد قوات الأمم المتحدة يوم 16 مايو

تُثار تساؤلات شبيهة عند تناول المحطة الثانية في الأزمة التي أدت إلى الحرب، المحطة المتعلقة بطرد قوات الأمم المتحدة المتمركزة على الحدود مع إسرائيل.

يعود وجود القوات الدولية في سيناء إلى سنة 1957 في أعقاب العدوان الثلاثي، وكان تمركزها على الجانب المصري، لا الإسرائيلي، من الحدود أحد المكاسب التي حققتها الديبلوماسية الإسرائيلية في أعقاب الحرب.

بعد اندلاع الأزمة كان عبد الناصر يريد إعادة توزيع محدودة لتلك القوات وليس سحبها تمامًا. أما عامر فكان له رأي مختلف. حيث كان يبغي تصعيد الموقف وتسخينه، بالإصرار على سحب شامل للقوات وليس إعادة تمركز جزئي. وعندما قرأ عبد الناصر في صباح يوم 16 مايو النسختين العربية والإنجليزية من طلب إعادة تمركز القوات الذي كان سيُسلم لقائد تلك القوات الجنرال ريكي، لاحظ فرقًا بين النسختين. فبينما نصت النسخة الإنجليزية على سحب كل القوات، غابت عن النسخة العربية كلمة "كل"، وهو ما كان أقرب لمبتغاه. لذا عمل على تصحيح النسخة الإنجليزية بأن شطب كلمة "all"، كما شطب كلمة "withdrawal"، أي سحب، واستبدلها بكلمة "redeployment"، أي إعادة توزيع. وكان القصد من وراء ذلك أن يوضح للجنرال

يحكي أن غرضه ليس إنهاء عمل قوات الأمم المتحدة تمامًا، وإنما إعادة تمركزها. ولكن عبد الحكيم عامر أرسل النسخة الأصلية قبل تصحيحها، متعللًا بأنه لم يكن لديه الوقت الكافي لإجراء التعديلات التي طلبها عبد الناصر. وكانت نتيجة هذا التصرف أن قامت الأمم المتحدة بسحب كل القوات[10].

ثالثًا: قرار إغلاق خليج العقبة في 22 مايو

أما المحطة الثالثة على طريق الحرب، فكانت قرار إغلاق مضايق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية يوم 22 مايو. مرة أخرى نرى هنا تأثير النزاع الخفي بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر بشأن هذا القرار الحاسم الذي يعتبره أغلب المؤرخين كعبور يوليوس قيصر نهر الروبيكون، بمعنى أنه كان قرارًا لا رجعة فيه وأن بعده أصبحت الحرب حتمية.

أُعلن هذا القرار في مؤتمر حضره جمال عبد الناصر في مطار أبو صوير. حضر المؤتمر المشير عامر، والفريق أول صدقي محمود، والفريق أول عبد المحسن مرتجي، وزكريا محيي الدين، وأنور السادات، بالإضافة إلى الكثيرين من قادة سلاح الطيران والطيارين. وعلى الرغم من إصدار القرار وإعلانه، إلا أن عبد الناصر لم يكن يريد أن يصعّد الأمر إلى درجة تستدعي تدخل الولايات المتحدة، ومن ثم فقد أصدر تعليماته بـ"أننا لن نوجه الضربة الأولى". على أن الطيارين تكالبوا على المشير عامر فور انتهاء المؤتمر وطالبوه بأن يسمح لهم بالقيام بالضربة الأولى، فرد عليهم قائلًا "ما تخافوش يا ولاد، والله هنحارب"[11].

ويمكن التدليل على الفجوة الشاسعة التي كانت تفصل بين عبد الناصر وعامر بخصوص الموقف من إغلاق مضايق تيران بالرجوع قليلًا إلى الوراء، تحديدًا يوم 17 مايو، وهو اليوم الذي بدأت فيه فكرة السيطرة على المضيق، وليس إغلاقه، تطرح نفسها. ففي هذا اليوم دعا عبد الناصر معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق إلى اجتماع في بيته وطرح عليهم فكرة السيطرة على المضايق.

---

10 لتفاصيل هذه الواقعة راجع Risa Brooks, **Shaping Strategy**: **The Civil-Military Politics of Strategic Assessment** (Princeton: Princeton University Press, 2008) pp.90-91.

11 وذلك حسب شهادة الطيار المقاتل ممدوح عبد الله الملط الذي كان حاضرًا المؤتمر. الشهادة منشورة في عصام دراز، **ضباط يونيو يتكلمون: كيف شاهد جنود مصر هزيمة 67** (القاهرة: المنار الجديد، 1989).

في كتابه "**مصر من الثورة إلى النكسة**"، يشرح ممدوح أنيس فتحي تفاصيل ما جرى في هذا الاجتماع. تنبع أهمية سرد فتحي بالذات لهذه النقطة من أنه مبني على محضر الاجتماع الذي كتبه بخط يده سامي شرف، مدير مكتب الرئيس للمعلومات، والمحفوظ في دار المحفوظات المركزية للقوات المسلحة تحت رقم 5/158/19. لندع الكاتب يسرد لنا ما جري: "طرح عبد الناصر فكرة السيطرة المصرية على خليج العقبة، ولكن المناقشة أخذت منحىً آخر عندما صمم المشير عبد الحكيم عامر على إغلاق خليج العقبة، وأكد أنه لا يمكن للقوات المسلحة المصرية أن تقبل مرور العلم الإسرائيلي أمامها، فأخذ عبد الناصر الأصوات، فوافق الجميع على إغلاق المضايق ما عدا المهندس صدقي سليمان الذي أشار إلى أن هذا يعني الحرب. ومن ثم تقرر التنفيذ في موعد ملائم مع استعداد القوات المسلحة لذلك." ثم يضيف ممدوح أنيس فتحي قائلًا: "وهنا نجد أن جمال عبد الناصر قد أراد من دعوة مجلس قيادة الثورة القديم للاجتماع مواجهة عبد الحكيم عامر والوقوف ضده في قرار إغلاق خليج العقبة، وأن يساند عبد الناصر في فكرة السيطرة المصرية على الخليج فقط كورقة ضغط على إسرائيل، ولكن من الواضح أنه استجاب لرأي الجميع الذين أيدوا موقف عبد الحكيم عامر."[12]

رابعًا: الخطة الهجومية "فجر" يوم 27 مايو

أما المحطة الرابعة فتتعلق بخطة هجومية أعطى لها عامر الضوء الأخضر، قبل أن يتدخل عبد الناصر لإلغائها في آخر لحظة، بعد أن تسربت أنباؤها إلى إسرائيل، ومنها إلى واشنطن، ومنها إلى موسكو، وأخيرًا إلى القاهرة.

يذكر الفريق أول محمد فوزي في كتابه "**حرب الثلاث سنوات**" أن هناك خطة اسمها "فجر" صدر بها توجيه المشير رقم 67/16 في 23 مايو 1967. كان هدف الخطة عزل منطقة النقب الجنوبي وإيلات، وخُصصت لها قوات برية وبحرية. أما القوات الجوية فوُضعت لها خطة مستقلة اسمها "أسد" بقصد توفير الحماية الجوية والاستطلاع الجوي، ومجهود مباشر بقوة 9 طلعات سرب مقاتل-قاذف، وطلعة سرب قاذف خفيف يوميًا، ولمدة ثلاثة أيام[13]. ويضيف فوزي أن الفريق مرتجي صادَق على الخطة في الساعة الثامنة

12 ممدوح أنيس فتحي، **مصر من الثورة إلى النكسة**، ص333.
13 محمد فوزي، **حرب الثلاث سنوات**، ص108-107.

من مساء يوم 25 مايو، أما المشير فصادَق عليها في اليوم التالي، أي 26 مايو، وكان من المفترض أن يبدأ تنفيذها في الساعة الثامنة من مساء يوم 28 مايو.

ولكن المصادر الإسرائيلية تقول إن أخبار هذه الخطة تسربت إلى إسرائيل. فمثلًا يقول وزير الدفاع الإسرائيلي موشي ديان في مذكراته إن الاستخبارات الإسرائيلية استطاعت أن تلتقط أمر القتال المتعلق بالعملية "فجر"[14]. كذلك تزعم إسرائيل، في كتاب وزعته بعد الحرب، أن جاسوسًا زرعته داخل قيادة القوات الجوية المصرية هو من أخبرها بموعد الخطة وتفاصيلها[15].

عند علمها بأمر هذه الخطة اتصلت إسرائيل فورًا بسفيرها في واشنطن آفرام هارمان، وطلبت منه أن يبلغ أمرها لوزير الخارجية آبا إيبان، الذي كان لحظتها في اجتماع مهم مع وزير الدفاع الأمريكي روبرت ماكنمارا (الساعة 10:30 صباحًا بتوقيت واشنطن و5:30 مساء بتوقيت القاهرة، يوم 26 مايو 1967). وبالفعل أوصل هارمان محتوى التحذير لإيبان، الذي ألح بدوره على مضيفه ماكنمارا أن تتدخل واشنطن لدى القاهرة حتى توقف الاعتداء المصري. في البدء شكك ماكنمارا فيما سمعه من ضيفه الإسرائيلي، وأخبره أن معلوماته تقول إن الحشود المصرية في سيناء غرضها دفاعي وليس هجوميًا. عندها أكد إيبان أن ما يقوله مبني على معلومات حديثة لا علم لواشنطن بها، دون أن يفصح عن مصدر هذه المعلومات، واكتفى بالقول إن ما وصله ليس "تحليل معلومات" ولا حتى "معلومات" بل "يقين"[16].

وفي الحال استدعى مساعد وزير الخارجية الأمريكي يوجين روستو السفير المصري في واشنطن مصطفى كامل وأبلغه قلق أمريكا من أخبار وصلتها تفيد بعزم مصر على شن هجوم على إسرائيل في الساعات القادمة. ولم تكتف واشنطن بذلك، بل قام الرئيس

---

14 Moshe Dayan, **Story of my Life** (Boston: Da Capo Press, 1992) pp.325-6.

15 باروخ نادل، **تحطمت الطائرات عند الفجر**، ترجمة عبد الستار الشاذلي (تونس: دار الترقية الشرقية، 1970) ص247.

16 العبارة باللغة الإنجليزية كانت "not just an evaluation of intelligence but *information*, a word he later changed to *knowledge*". والعبارة مأخوذة من Harriet Dashiell Schwar (ed.), Foreign Relations of the Unites States, 1964-1968, Volume XIX, Arab-Israeli Crisis and War, 1967 (Washington: United States Government Printing Office: 2004).

جونسون بنفسه بالاتصال برئيس الوزراء السوفيتي أليكسي كوسيجن على الخط الساخن بين البيت الأبيض والكرملين ليخبره بهذه المعلومات الخطيرة. وقام كوسيجين بدوره بالاتصال بسفيره في القاهرة ديمتري بوجداييف وأمره بالتواصل فورًا مع عبد الناصر ليوقف الهجوم. وبالفعل وصل بوجداييف إلى منزل عبد الناصر في منشية البكري الساعة الثالثة صباحًا فجر يوم 27 مايو، وأخبر الرئيس أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية قد اتصل برئيس الوزراء السوفيتي ليخبره بأن القوات المصرية ترتب لهجوم على إسرائيل، وطلب منه التدخل عبر سفيره في القاهرة لمنع هذا الهجوم، وإلا فالولايات المتحدة ستعتبر نفسها في حل من التعهدات التي أعطتها للاتحاد السوفيتي بضبط النفس[17].

عند تحليله لهذه التطورات الدرامية المتلاحقة يقول هيكل في كتابه "**الانفجار**"[18] إن ما كان يشغل عبد الناصر بخصوص "تحذيرات ما بعد منتصف الليل" هو الكيفية التي توصلت من خلالها إسرائيل إلى معرفة أمر الخطة "فجر". ويؤكد هيكل أن عبد الناصر انزعج من أن هناك تسريبًا ما، وأخذ يتساءل إن كان هذا التسريب من القيادة، أم أن إسرائيل قد حصلت على تفاصيل العملية الهجومية "فجر" بشكل آخر.

وهكذا، أنفق هيكل ست صفحات من كتابه يكتب عن الشفرات وكسرها، ساردًا وقائع طريفة عن قدرة وحدة الاستطلاع البحري المصرية على كسر شفرات القطع البحرية الأمريكية التي تصول وتجول في البحر المتوسط. ثم بعد أن أكد على أهمية الشفرات وكسرها، شرح لنا هيكل كيف استدعى عبد الناصر عبد الحكيم عامر في صباح يوم السبت 27 مايو كي يصارحه بهواجسه، "وطلب إليه أن تغير القوات المصرية شفراتها، وأن تفعل ذلك كل ثلاثة أيام توقيًا للاحتمالات كافة. لكن الموضوع ظل يلح على خاطره طول اليوم وحتى أوى إلى فراشه"[19].

لكن حقيقة الأمر أن ما أقلق ناصر لم يكن الشفرات وإمكانية كشفها. فكما يقول هيكل نفسه في موضع آخر من كتابه، لكن بشكل ملتوٍ وغير صريح، أن ما أقلق عبد الناصر كان تخطيط المشير عامر للعملية الهجومية "فجر" دون موافقته. ينقل هيكل عن عبد

17 محمد حسنين هيكل، **الانفجار**، ص577–578.
18 محمد حسنين هيكل، **الانفجار**، ص577.
19 محمد حسنين هيكل، **الانفجار**، ص577.

الناصر قوله لعامر إنه قد "لاحظ في اجتماع [القيادة يوم 25 مايو[20]] أن المشير عبد الحكيم عامر يتحدث بطريقة ظاهرة وبطريقة ضمنية عن الضربة الأولى ومن يوجهها والضربة الثانية ومن يتلقاها. وكان رأيه [أي رأي عبد الناصر] أن الدوران طويلًا حول هذه المسألة من شأنه أن يخلق بلبلة لدى القوات. فالحرب جهد سياسي شامل يدخل القتال عنصرًا من عناصره في وقت من الأوقات". ثم أخذ هيكل يلخص كلام عبد الناصر لعامر عن توازنات القوى الإقليمية والعالمية، وكيف ستقرأ هذه القوى، بالإضافة إلى الرأي العام العالمي، التحركات العسكرية المصرية. وذكر هيكل كلام عبد الناصر لعامر، ومفاده: "إن هدفه الرئيسي في إدارة الأزمة هو أن نخرج منها بسلام ودون حرب، ومع أن نسبة نشوب الحرب كما قال في اجتماع القيادة قد زادت عن 60%، فهو لا يزال واثقًا أن جهود كثيرين لكسب الوقت يمكن أن تؤدي إلى تخفيض نسبة المخاطرة، وأن نجيء في هذه اللحظة ونتحدث عن ضربة أولى فهذا كلام غير مسئول."

ويضيف هيكل: "ثم أشار جمال عبد الناصر في حديثه مع عبد الحكيم عامر إلى تفاصيل سمعها في اجتماع [القيادة] عن خطة هجومية محدودة تحمل الاسم الرمزي "فجر"، وهي موجهة إلى ميناء إيلات الإسرائيلي بهدف قطعه عما وراءه. وقال إنه لم يشأ أن يشدد في الاعتراض عليها في اجتماع القيادة حتى لا يساء فهم اعتراضه. وأنه يؤثر أن يقوم عبد الحكيم عامر الآن بإلغاء الأمر الإنذاري للخطة التي كان مزمعًا تنفيذها خلال أيام قليلة. لم يكن اقتناع عبد الحكيم عامر كاملًا، وإن كان قد قال في نهاية حديثه إنه سوف ينفذ الأوامر. والغريب أنه ظل طوال يوم 27 مايو مترددًا في إلغاء العملية "فجر" ثم اضطر أخيرًا إلى تنفيذ الأوامر"[21].

بمعنى آخر، وكما يعترف هيكل نفسه، ولكن على مضض ودون أن يصرّح بوضوح، فإن ما أزعج عبد الناصر هو أن المشير عبد الحكيم عامر كان يخطط لعملية هجومية ضد إسرائيل، في الوقت الذي كان يحاول هو أن يهدئ الوضع وأن يجد مخرجًا دبلوماسيًا للأزمة التي أشعلها عبد الحكيم عامر بالأساس.

---

20 يوم 25 مايو، عُقد مؤتمر في القيادة العامة للقوات المسلحة حضره الرئيس عبد الناصر، والمشير عامر، وقادة أفرع القوات المسلحة، البرية والجوية والبحرية، والفريق أول محمد فوزي، والفريق أول أنور القاضي، والفريق صلاح محسن، قائد الجيش الميداني، والفريق أول عبد المحسن مرتجي، قائد الجبهة الشرقية، واللواء محمد صادق، مدير المخابرات الحربية.

21 محمد حسنين هيكل، **الانفجار**، ص574.

خامسًا: اجتماع يوم 2 يونيو

أما المحطة الأخيرة من محطات الأزمة التي أفضت إلى اندلاع القتال يوم 5 يونيو، فكانت الاجتماع العسكري-السياسي الذي عُقد في مقر القيادة العامة للقوات المسلحة يوم 2 يونيو. فكما شُرح سابقًا، أكد عبد الناصر في هذا الاجتماع على ضرورة عدم البدء بالهجوم وعلى أهمية تلقي الضربة الأولى. وإزاء اعتراضات بعض القادة، وعلى رأسهم الفريق أول صدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي، حاجج عبد الناصر بأنه سيدير المعركة سياسيًا، وكي يستطيع أن يفعل ذلك لا يجب أن يستعدي الولايات المتحدة. ومما يلفت النظر أن المشير عبد الحكيم عامر لم يخالفه الرأي هنا، بل أخذ صفه في مواجهة الفريق أول صدقي محمود. فبعد أن طالت المناقشة في أثناء هذا المؤتمر الحاسم، التفت الرئيس عبد الناصر "بابتسامته المعروفة نحو المشير، فالمشير قال: طيب يا صدقي، تحب تضرب أنت الضربة الأولى، وبعد كده تحارب إسرائيل؟ عندها أسقط في يد صدقي ورد قائلًا: أمري إلى الله"[22].

ولكن وبالرغم من أن المشير عامر لم يخالف رأي الرئيس عبد الناصر في هذا المؤتمر الحاسم، إلا أن هناك ثلاثة شواهد ملغزة توضح كيف أنه لم يعر توجيهات الرئيس أي انتباه. أول هذه الشواهد هو غياب رئيس أركان القوات الجوية الفريق جمال عفيفي عن هذا المؤتمر، وهو أمر مهم إذا عرفنا أن رئيس الأركان هو من يترجم القرارات السياسية إلى أوامر عسكرية للوحدات المقاتلة، التي هي هنا المطارات المختلفة في سيناء والعمق، بالإضافة إلى بطاريات صواريخ الدفاع الجوي. ويعلق صلاح الدين الحديدي على هذا الموقف قائلًا: "إن الصورة الواضحة التي وضعها الرئيس الراحل عن توقعاته لم تخرج عن جدران القاعة التي عُرضت فيها، فرجال القوات الجوية والدفاع الجوي لم يبلغهم أن قواعدهم ستكون هدفًا للعدو بعد يومين أو ثلاثة أيام، حيث أن قائد القوات الجوية ومعاونيه الذين حضروا هذا الاجتماع التاريخي وجدوا أن من الأنسب، لأسباب تعللوا بها، ألا يعلنوا هذه التوقعات على قواعدهم المقاتلة، بل لم يخطر بها رئيس أركان القوات الجوية الذي لم يكن موجودًا في الاجتماع."[23]

---

22 سليمان مظهر، **اعترافات قادة حرب يونيو: نصوص شهاداتهم أمام لجنة تسجيل تاريخ الثورة** (القاهرة: دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، 1990) ص134.

23 صلاح الدين الحديدي، **شاهد على حرب 1967**، ص172.

أما الأمر الملغز الثاني الذي يعبّر عن عدم اكتراث المشير عامر بتوجيهات الرئيس عبد الناصر هو قيامه، أي المشير عامر، في نهاية اليوم نفسه، 2 يونيو، بتوزيع منشور صادر عن المخابرات الحربية المصرية يتعارض تمامًا مع ما جاء في المؤتمر. فقد جاء في هذا التقرير أن "إسرائيل لن تقدم على عمل عسكري تعرّضي (أي هجومي)، وأن الصلابة العربية الراهنة ستجبر العدو بلا شك على أن يقدر العواقب المترتبة على اندلاع شرارة الحرب في المنطقة"[24].

أما ثالثة الأثافي فكانت قيام المشير عامر بترتيب زيارة إلى الجبهة صباح يوم 5 يونيو، أي اليوم نفسه الذي تنبأ عبد الناصر أن يقوم الإسرائيليون بشن هجومهم فيه. لقد كُتب الكثير عن هذه الزيارة، وركز الكثيرون ممن تناولوها على أثرها الكارثي على مجريات الساعات الأولى الحاسمة في الحرب. فقد كان من بين الاستعدادات لهذه الزيارة إصدار أوامر إلى قوات الدفاع الجوي بأن تحجم عن إطلاق النار في أثناء وجود طائرة المشير في الجو في طريقه إلى مطار بير تمادة في سيناء لمقابلة القادة الميدانيين. على أن ما يلفت النظر في الحقيقة ليس هذا بل توقيت الزيارة. فعلى رغم توجيهات عبد الناصر الواضحة بأن العدو سيقوم بهجوم متزامن على مطاراتنا في موعد أقصاه صباح الإثنين 5 يونيو، قرر المشير عبد الحكيم عامر أن يقوم بتفقد الجبهة في هذا التوقيت تحديدًا. والتفسير الوحيد لقرار المشير هذا هو أنه لم يصدق كلام الرئيس أو لم يعره انتباهًا.

الساعات الأولى

قبل أن نستكمل تتبعنا لهذا النزاع المحوري بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر، وأثره على مجريات العمليات العسكرية في الجبهة، يجدر بنا أن نتوقف عند تفاصيل الساعات الأولى للقتال. ففي هذه الساعات وقعت أحداث شكّلت مجرى كل العمليات الحربية لاحقًا.

لنبدأ القصة قبل بدء القتال بساعات قليلة. ففي يوم 4 يونيو أصدر مكتب المشير تعليمات إلى جميع القادة في سيناء، حتى مستوى قادة الفرق، بالحضور إلى بير تمادة للتباحث مع المشير. كانت هذه الزيارة هي الثانية للمشير بعد إعلان رفع درجات الاستعداد للقوات المسلحة، والأولى بعد تدفق القوات إلى سيناء واكتمال الحشد العسكري. لذا كان من الطبيعي أن يستعد القادة لها بتجهيز كل منهم تقرير عن حالة

24 ممدوح أنيس فتحي، مصر من الثورة إلى النكسة، ص363.

قواته وبتعليق على الدور الذي سيقوم به في المعركة، وربما أيضًا كان هناك بعض القادة الذين اعتزموا مناقشة الغرض من العملية كلها، والأهداف المنشودة منها، وكيفية التنسيق فيما بينهم.

كان هذا الموضوع الأخير، أي التنسيق بين القيادات، موضوعًا شائكًا وملغزًا. فطوال الأسابيع والشهور التي سبقت المعركة، كان الفكر يقوم على أن القوات في سيناء تحرّكها قيادة ميدانية مقرها الإسماعيلية تحت إمرة الفريق صلاح محسن، اسمها قيادة الجيش الميداني أو القيادة الشرقية. وكان من البديهي أن تتلقى هذه القيادة أوامرها من القيادة العليا بالقاهرة، تحديدًا من نائب القائد الأعلى المشير عامر، ورئاسة الأركان بقيادة الفريق أول محمد فوزي، وهيئة العمليات بقيادة الفريق أول أنور القاضي.

ثم فجأة، وفي يوم 29 مايو، أُضيفت قيادة جديدة اسمها "القيادة الأمامية للجبهة"[25]، وفي رواية أخرى "مركز قيادة متقدم"[26]، وأُوكلت للفريق عبد المحسن مرتجي الذي كان قد شغل منصب القائد السياسي العسكري للقوات المصرية في اليمن، والذي لم يسبق له الخدمة في سيناء إلا لمامًا، ومنذ سنوات عديدة مضت قبل الاعتداء الثلاثي في 1956.

لذا كان كل القادة متطلعين غاية التطلع لزيارة المشير عبد الحكيم عامر يوم 5 يونيو. إذ كانوا يأملون أن يحسم بحضوره الشخصي التضارب والغموض اللذين هيمنا على الجيش الميداني بقياداته المتعددة. ولكن هذه الزيارة لم يُكتب لها أن تتم. فبعد أن اصطف الجميع في مطار بير تمادة استعدادًا لتحية المشير عند وصوله، وعندما دنت الطائرة، اكتشف الجميع أنها لم تكن طائرة المشير، بل طائرة إسرائيلية معادية أخذت في قصف ممر المطار، ثم أعقبتها طائرة أخرى قصفت الطائرات الرابضة ودمرتها كلها. وعندما رأى طيار طائرة المشير المطار يُضرب تحته عاد فورًا للقاهرة.

أما القادة المنتظرين، فلدينا شهادة غنية تعبر عن مدى الجزع والتخبط اللذين أصيبوا بهما أثناء هذه اللحظات الرهيبة. يقول الفريق عبد المحسن مرتجي في مذكراته: "في بداية الأمر لم نظن أن الطائرات المقاتلة التي فوق رؤوسنا هي طائرات إسرائيلية، فإننا لم نتوقع الغدر من جانب العدو، أو على الأقل كانت الصورة العامة بالنسبة للموقف كله لا تنبئ بأن إسرائيل ستبدأ ضربتها بهذه السرعة. ولم نكن ندري في موضعنا عما يحدث للقواعد الجوية

25 صلاح الدين الحديدي، **شاهد علي حرب 1967**، ص158.

26 عبد المحسن مرتجي، **الفريق مرتجي يروي الحقائق**، ص58.

الأخرى، وكنا نظن أن الطائرات المصرية المقاتلة لن تلبث أن تظهر سريعًا لامتلاك زمام الأمور، وانتزاع السيطرة من العدو. ولكن طال انتظارنا وخاب أملنا، وأصبح لزامًا علينا أن نعود بأسرع ما يمكن إلى مركز القيادة بطريق البر، بصرف النظر عن الهجوم الجوي وعن الكثافة المستمرة للطيران الإسرائيلي في أجوائنا"[27].

أما طائرة المشير فكان يصحبه فيها قائد القوات الجوية الفريق أول صدقي محمود، ورئيس الأركان الفريق أول محمد فوزي، ورئيس هيئة العمليات الفريق أنور القاضي، وعدد ضخم من كبار القادة، بالإضافة إلى رجال الإعلام والمصورين. وبعد أن دنت الطائرة من مطار بير تمادة وبدأت في الهبوط، لم يلبث الطيار أن ميز الطائرات الإسرائيلية وهي تقصف المطار، فغيّر اتجاهه على الفور. وقد شعر الفريق صدقي في الحال بما قام به الطيار فدخل عليه كابينة القيادة ليعرف السبب، "ولكنه بعد أن شاهد الطائرات الإسرائيلية تدك المطار المصري وتصول وتجول في الجو دون أدنى مقاومة، والكلمات لصلاح الدين الحديدي، أمر الطيار بالعودة إلى مطار القاهرة الدولي بدلًا من مطار ألماظة"، وأرسل إشارة.لاسلكية إلى تشكيلاته يأمرها فيها أن تقوم بهجوم مضاد وأن تهجم على المطارات الإسرائيلية، لكنه بالطبع لم يكن يعرف مدى الخسائر التي لحقت بتشكيلاته وأنها لم تعد تستطيع تنفيذ أوامره.

"وصلت طائرة المشير إلى مطار القاهرة الدولي، ولم يكن هناك بالطبع مستقبلون، استقل المشير إحدى سيارات الأجرة، وكانت الوحيدة الرابضة خارج المطار، ومن نوع عتيق جدًا، يقودها سائق عجوز، إلى مقر القيادة العامة بمدينة نصر، وصحبه في السيارة نفسها قائد القوات الجوية وبعض كبار المرافقين. ولا شك أنه كان منظرا فريدًا في نوعه لم يسبق له مثيل، إذ انحشر قادة يحملون أكبر الرتب العسكرية، بملابسهم الرسمية، ونياشينهم المصفوفة على صدورهم داخل سيارة عتيقة تتحرك بالكاد، وسائقها المدني الهرم القادم من مصر العليا ذي النظارات السميكة ترتعد فرائصه خوفًا من القصف الجوي من ناحية، ومن خطورة الشخصيات التي يحملها من ناحية أخرى، وهم يستحثونه ليصل بهم في أسرع وقت إلى مقر القيادة. وما إن وصلوا حتى بدأت إذاعات القاهرة تصدر البيان تلو البيان عن عدد الطائرات المعادية التي أسقطت."[28]

---

27 عبد المحسن مرتجي، **الفريق مرتجي يروي الحقائق**، ص144.

28 صلاح الدين الحديدي، **شاهد على حرب 1967**، ص186-187.

وبينما كانت طائرة المشير تحاول أن تهبط في مطار تمادة، كانت هناك طائرة أخرى مماثلة، أليوشن 14، تحاول هي الأخرى أن تهبط في مطار أبو صوير. كانت هذه الطائرة الثانية تقل نائب رئيس الجمهورية حسين الشافعي بصحبة رئيس الوزراء العراقي طاهر يحيى الذي كان قد أتى لمصر للتوقيع على اتفاقية دفاع مشترك. وبعد أن هبطت الطائرة بدقيقة أو دقيقتين ظهرت الطائرات الإسرائيلية وأخذت تقصف المطار بنفس الطريقة المنهجية: موجة أولى تستهدف الممرات بقنابل تنفجر بعد أن تكون قد اخترقت الممر وغاصت فيه، فيحدث الانفجار فجوة عميقة وواسعة يجعل من المستحيل إقلاع الطائرات من الممر، ثم يعقب هذه الموجة موجة ثانية من المقاتلات تقصف الطائرات الرابضة. وكان من نتاج هذا القصف أن دُمرت جميع الطائرات المرصوصة صفًا واحدًا كأنها تدعو المقاتلات أن تدمرها[29].

شهد هذه الواقعة الطيار تحسين زكي، الذي أدلى بشهادته إلى عصام دراز في كتابه "**ضباط يونيو يتكلمون**". لنقرأ نص شهادته: "قفز ركاب طائرة حسين الشافعي منها عندما شاهدوا قصف المطار، واختبأوا خارج الممر خلف ساتر. وبعد ذلك هاجمت الطائرات الإسرائيلية الطائرة وهي تقف على الممر الفرعي فاحترقت. وبعد انتهاء الضربة الأولى كلفتُ طيار اسمه السمري أن يركب سيارة جيب ويقوم بإحضار حسين الشافعي ومرافقيه إلى مبنى المطار. وعندما وصل إلى المطار واجهه الطيارون وقالوا له "كده كويس؟! لماذا لم تتركونا نضرب الضربة الأولى؟" كان الطيارون في حالة توتر وحزن شديد لتعرضهم لهذه الضربة وعدم إتاحة الفرصة لهم بالقيام بالضربة الأولى[30]."

بعد أن وصل أخيرًا إلى مكتبه، بدأ المشير في إدارة المعركة، محاولًا الإلمام بمدى خسائر القوات الجوية. ويؤكد هيكل أنه انهار انهيارًا تامًا ولم يستطع تمالك أعصابه ولا الأخذ بزمام الأمور بعد ضربة الطيران في صباح هذا اليوم. أما عبد اللطيف البغدادي، عضو مجلس قيادة الثورة القديم، فيقدم لنا وصفًا دقيقًا لمجريات الأمور في القيادة العامة للقوات المسلحة، وفي مكتب المشير تحديدًا، يوم 5 يونيو. ففي هذا اليوم استمع البغدادي وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين، وكلهم أعضاء في مجلس قيادة الثورة سابقًا، إلى الإذاعة المصرية، وابتهجوا مثل غيرهم من المصريين بعدد الطائرات الإسرائيلية التي قالت الإذاعة

---

29 صلاح الدين الحديدي، **شاهد على حرب 1967**، ص184، ومحمد فوزي، **حرب الثلاث سنوات**، ص134-135.

30 عصام دراز، **ضباط يونيو يتكلمون**، ص9.

إننا قد أسقطناها. ولكن الشكوك راودتهم بعد أن استمعوا إلى الإذاعات الأجنبية التي نقلت أخبار تدمير الطائرات المصرية لا الإسرائيلية. فقرروا أن يذهبوا إلى المشير عامر في مكتبه لاستيضاح الأمر.

يقول البغدادي إنهم عندما وصلوا إلى مكتب المشير في مقر القيادة سألوه عن خسائرنا في الطائرات، فرد قائلًا إننا خسرنا أغلب طائراتنا، ولكن لا داعي للقلق لأن لديه خطة للدفاع عن القوات في سيناء حتى بدون غطاء جوي. ثم يضيف: "وفي أثناء وجودنا معه لاحظنا أن صدقي محمود [قائد القوات الجوية] كثير الاتصال به، وأنه لا يدير معركة جوية، وإنما على ما يظهر يبكي له في التليفون. ويظهر أن أعصابه انهارت. وكان حسين الشافعي قد حضر إلى مكتب عبد الحكيم وهو معفر الثياب. وعلمنا منه أنه كان يرافق رئيس وزراء العراق الذي وقَّع على اتفاقية دفاع مشترك في زيارة للقاعدة الجوية بمطار فايد بالإسماعيلية، وأن المطار قد هوجم من الطائرات الإسرائيلية في أثناء نزول الطائرة التي كانوا يركبونها إلى الأرض، وسألنا عبد الحكيم لماذا لا تصعد طائراتنا وتتصدى لطائرات العدو أو تغير على مطاراته، فقام بإصدار أوامر إلى صدقي بالعمل على قذف ومهاجمة مطارات العدو. وفي المساء عدنا إلى القيادة ووجدنا عبد الحكيم مشغولًا بالاتصال بضابط في مطار العريش اسمه اللواء الديب، ويطلب منه مدفع 57 ملم مضاد للدبابات. واندهشنا كيف يمكن لقائد كعبد الحكيم أن يشغل نفسه بموضوع مدفع طوال الوقت. وفي هذه الأثناء حضر جمال عبد الناصر إلى مكتب عبد الحكيم، وتصافحنا وجلس معنا وقال "والله زمان يا سلاحي"، ثم سأل جمال عبد الحكيم عن خسائرنا في الطائرات ولكن حكيم تهرب من الإجابة، وسكت جمال ولم يعلق بشيء إنما سأله عن الموقف في الجبهة. وكان حكيم يتهرب من الرد بأن يشغل نفسه في الرد على التليفون، ويعطي أوامر فرعية وصغيرة جدًا لا يصح أن يشغل نفسه بها وهو القائد العام. ولكن بعد فترة قدّم شمس [بدران، وزير الحربية] لجمال تقريرًا كان موجودًا على مكتب حكيم وقال له "سير العمليات"، فأخذه جمال وجلس على طرف مكتب عبد الحكيم وأخذ يتطلع لما جاء فيه، وبدأت تظهر على وجهه علامات عدم الارتياح التي أعرفها عنه. وفي أثناء اطلاعه عليه نظر إلى عبد الحكيم وقال له "إن خان يونس سقطت، ورفح المدينة محاصرة، والاتصال بها مقطوع، وغزة تهاجم"، ثم قال لعبد الحكيم "لا بد لنا أن نعرف الموقف على حقيقته". ولكن عبد الحكيم ظل رغم طلب جمال عبد الناصر يشغل نفسه بالرد على التليفونات. في النهاية بعد أن فرغ صبر جمال قام ودخل إلى حجرة النوم الملحقة بمكتب عبد الحكيم. وبعد فترة دخلتُ إلى الحجرة للذهاب إلى دورة المياه وهي من داخلها،

فوجدت جمال نائمًا على السرير ضاجعًا [مضّطجعًا]، وعلى ما يظهر يفكر في المأزق الذي أصبحنا فيه وكيفية الخروج منه. وبعد وقت قصير خرج جمال من غرفة النوم، وطلب من عبد الحكيم أن يرسل شيئًا للصحف عن المعركة لتعرف الناس الموقف على حد قوله. وذكر: "أن نقول مثلًا إننا توغلنا في أرض العدو وخلافه. لأن العدو يذيع بيانات عن المعركة ونحن لا نذيع شيئًا". ثم قام بعد ذلك وقال "أظن نروح ننام ونسيب عبد الحكيم يشتغل."[31]

سرديتان عن الهزيمة

أما رواية المشير عبد الحكيم عامر عن تلك الساعات القاسية فنحن نفتقدها بالطبع. فهو لم يكتب مذكراته، أو إن كان قد كتبها، فهي لم تصلنا. ولكن لدينا شهادة عن حال ومواقف المشير في تلك الساعات الحاسمة ينقلها عنه عبد الصمد محمد عبد الصمد، أحد أقرب أصدقائه وبلدياته ونائب دائرته في مجلس الأمة. لعبد الصمد كتاب فريد في أهميته، عنوانه "**العشاء الأخير للمشير**" صدر سنة 1979 في 199 صفحة من القطع الصغير[32]. وبالرغم من صغر حجم الكتاب، ومن أسلوبه الساخر المرير، إلا أنه يحوي معلومات في غاية الأهمية، قد تكون أهمها تلك المتعلقة بمذكرات المشير. فالكاتب يؤكد أن عبد الحكيم عامر كتب مذكراته في صيف 1967 وسلمها لهيكل في محاولة لتوصيلها إلى عبد الناصر، وذلك لابتزاز هذا الأخير في صراعهما معًا. على أن هيكل أخفى هذه المذكرات ولم ينشرها.

على أن ما يهمنا هنا هو ما جاء في هذا الكتاب على لسان المشير عامر بخصوص هزيمة 67 وأحداث يوم 5 يونيو تحديدًا. أما عن الهزيمة العسكرية، فيقول المشير عبد الحكيم عامر إن سببها الرئيسي هو الاختلاف بينه وبين الرئيس عبد الناصر في كيفية مواجهة إسرائيل، وفي كيفية التعامل مع الولايات المتحدة، وفي كيفية إدارة العمليات العسكرية. وبالنظر إلى أهمية الشهادة التي ينقلها عبد الصمد عن المشير قد يكون من المفيد الاقتباس منها طويلًا:

---

31 عبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي: الجزء الثاني** (القاهرة: المكتب المصري الحديث، 1977) ص280-287.

32 عبد الصمد محمد عبد الصمد، **العشاء الأخير للمشير** (القاهرة: دار التعاون للطبع والنشر، 1979). وجدير بالذكر أن الكاتب بلال فضل له عدة مقالات تناول فيها هذا الكتاب المهم بالنقد والتحليل.

"قال إن جمال لم يأخذ رأيه في الاتصالات السياسية، ولا في تصريحاته أو اتفاقاته، فهذه مهمته، وهو [أي المشير] اعتمد عليه، فهو وحده الذي يتولى القيادة السياسية، ويعرف أن عبد الحكيم كان ممتعضًا من المواقف العدائية الشديدة نحو أمريكا والغرب، وأنه لا يهضم ولا يحب ولا يثق في الروس، وهم أيضًا يبادلونه هذا الشعور. ولكن ما دام المسئول السياسي واثقًا منهم فهذه مسئوليته، والوقت أقصر من أن يناقشه فيها أو يحاول تغييرها، فقد فات أوان التغيير. وعلى أية حال لم يكن يتصور أن جمال يُخدع بهذه السهولة والبساطة، فاطمأن إلى إدارته لهذه المعركة. وقال أيضًا إن جمال يعرف وكذلك جميع الضباط يعرفون ويوافقونه [أي يوافقون عبد الحكيم] تصميمه على أن يبدأ بمباغتة إسرائيل بضربة قاصمة وحاسمة، وبعد هذه الضربة له (أي الجمال) أن يفاوض من مركز قوة ويملي شروطه، وعلى الأقل سنصل لصلح شامل وعادل وفيه حل للقضية من جميع نواحيها. وقال إنه ألح على جمال في قبول هذا الرأي، ولكنه رفض بشدة بحجة أنه سيخسر الرأي العام العالمي، وسيعطي أمريكا فرصة للتدخل، كما سيخسر موقف [الرئيس الفرنسي شارل] ديجول الذي أعلن وكرر أنه سيكون ضد من يبدأ بالضربة الأولى. وإنه للخروج من الموقف فإنه قال لجمال إنه سيأمر بقيام بعض الدوريات باستفزاز إسرائيل، فترد على ضربات دورياتنا بضربات محدودة، فنضربها بالعنف المخطط للضربة الأولى، ولا أحد سيعلم من الذي بدأ بالهجوم، فنتساوى في المسئولية، ونتفادى الموقف السياسي الذي يخاف منه، ونكسب المعركة السياسية في بدئها. ولما رفض جمال هذا الرأي أيضا فإنه [أي عبد الحكيم] أمر بالقيام بعمليات الاستفزاز، وكان سيضرب ويضع جمال أمام الأمر الواقع [وهذه إشارة للعملية "فجر" التي أجهضت يوم 27 مايو]. لأنه كان واثقًا أنه ستحدث خدعة قاتلة. وفي أسوأ تقدير أن العالم سيتدخل ويطلب منا الوقوف في مواقعنا التي وصلنا إليها أو العودة إلى حدودنا فنقف أو نعود، المهم أننا كنا سننتصر في معركة كرامة حتى ولو لم تحقق المعركة أهدافها، فإننا لن نخسر أي شيء بل سنكسب الكرامة والثأر لمعركة السويس وكسر عين اليهود! واستطرد يقول وفهمت إسرائيل خطتي، ولا أدري إن كانت استنتجتها أو عرفتها بطريقة ما، فكان أن ذهب السفير الإسرائيلي في أمريكا إلى وزارة الخارجية الأمريكية، وطلب إيقاظ جونسون بعد منتصف الليل لإبلاغه أنباء مهمة وخطيرة. وقابل وزير الخارجية الأمريكية، وقال له السفير الإسرائيلي إنه تلقى من حكومته أنباء تؤكد له أن مصر ستبدأ الضرب الليلة أو في الغد على أكثر تقدير. واتصل وزير الخارجية الأمريكي بالسفير المصري وأنذره بأن أمريكا سوف تقف عسكريًا ضد الذي يبدأ بالضرب. كما اتصلت أمريكا بروسيا فأيقظ السفير الروسي في مصر جمال في الفجر وأبلغه هذا الإنذار وحذره من البدء بالضرب."

ويستطرد الكاتب ناقلًا صوت عامر: "ولأن هذا التحذير صادف هوى في نفس جمال الذي يريد أن يكسب المعركة بالتهويش وبالمظاهرة العسكرية فقط فقد طلبني وحملني مسئولية كل ما يحدث من ضرب أمريكا لنا، وقال إذا تهورت يا عبد الحكيم فأنت المسئول وسوف أعلن مسئوليتك بالطبع. فوافقتُ كارهًا، إلا أني اعتقدت، وهذا أمر بديهي، أن جمال أخذ كل الضمانات والعهود والمواثيق من السفير الروسي (بعد اتصاله بحكومته) بألا تبدأ إسرائيل بالضرب، وأنها إذا بدأت فعلى روسيا اتخاذ الموقف الذي أنذرتنا به أمريكا، وأنها يجب أن تنذر إسرائيل."

لكن ما حدث بالفعل كان شيئًا آخر. فوفقًا لعبد الصمد، كان رأي عامر إن ما حدث في يونيو 1967 هو "كوه (بتعبير البوكر) ملعوب بين أمريكا وروسيا وشربه جمال بكل بساطة وسهولة. وإن موقف روسيا بهذه الخسة في الخيانة والغدر الدنيء كان مبيتًا، وإنها لمصيبة كبرى إذا تصور جمال أن هذه الخيانة كانت لغفلة وليس لسوء نية." ويضيف عبد الصمد: "يقول المشير عن الهزيمة العسكرية إن جمال تدخل في كل صغيرة وكبيرة، وفرض رأيه علينا جميعًا، بحجة أن المعركة العسكرية تخضع للمعركة السياسية وليس العكس. فلما خسرنا المعركة السياسية كان لا بد أن نخسر المعركة العسكرية، وما كنا نخسرها بهذه الصورة لولا ثقته في الروس."

وأخيرًا ينقل عبد الصمد عن عامر شكواه المرة من صديق عمره: "تركني في القيادة أتحمل المصيبة وأحاول الخروج منها، ولما جاء إليها [في مساء يوم 5 يونيو] لم أحتمل النظر إليه أو أن أكلمه كلمة واحدة، وحتى أسئلته كنت أتجاهلها. ولولا صداقتنا وتحملي للتضحية باعتبار أنه أخطأ بحسن نية وبسوء سياسة لكان لي معه موقف آخر."[33]

إلى هنا تنتهي شهادة المشير التي نقلها عنه عبد الصمد محمد عبد الصمد. وعلى رغم صعوبة البت في صحتها، إلا أنها تتضمن عدة تفاصيل يصعب تخيل تلفيق الكاتب لها. أهم هذه التفاصيل هي تلك المتعلقة بالخطة "فجر"، التي نعلم الآن من واقع رواية هيكل والوثائق الأمريكية المفُرج عنها، أن عبد الناصر أمر بإلغائها يوم 27 مايو. هذه تفاصيل لا يمكن لعبد الصمد أن يكون قد اختلقها، أولًا لأنه لم يكن عسكريًا، وثانيًا لأن تفاصيلها لم تكن معلنة وقت نشره لكتابه سنة 1979، وبالتالي لا مجال للتشكيك في قوله إنه اطلع على نسخة من مذكرات المشير التي أخفى هيكل نسختها الأخرى.

33 عبد الصمد محمد عبد الصمد، **العشاء الأخير للمشير**، ص142-146.

تقدم لنا شهادة عبد الصمد تفسير المشير للهزيمة. فوفقًا لعبد الحكيم عامر، السبب وراء الهزيمة هو تدخل عبد الناصر في الأمور العسكرية، وتحديدًا إلغاؤه الخطة "فجر" التي كانت ستعنى مباغتة إسرائيل بالهجوم، وتفضيله تلقى الضربة الأولى. وكل هذا بسبب ثقة ناصر المتناهية في الروس وعدائه غير المبرر لأمريكا، وهو الموقف الذي يصفه المشير بـ"المصيبة الكبرى".

أما جمال عبد الناصر، فله بالطبع سرديته المختلفة عن الهزيمة وأسبابها. فحسب بوقه الإعلامي، محمد حسنين هيكل، فإن للنكسة سببين. السبب الأول هو شخصية المشير عبد الحكيم عامر. إذ يعتبر هيكل أن هذا الأخير هو المسئول الرئيسي عمّا حل بالجيش. فقد انهار تمامًا ولم يستطع تمالك أعصابه ولا الأخذ بزمام الأمور بعد ضربة الطيران التي حدثت صباح 5 يونيو.

يعرض هيكل لتصرفات المشير في الأيام والأسابيع التي سبقت المعركة، ويستنتج أنه كان يعاني من حالة نفسية سمّاها "المزاج الدوري" (manic depression)، معتمدًا على آراء كبار الأخصائيين النفسيين مثل الدكتور أحمد عكاشة[34]. ثم يزيد هيكل بُعدًا شخصيًا إلى أزمة المشير، وهو المتعلق بمشكلة زواجه عرفيًا من الفنانة برلنتي عبد الحميد وإخفاؤه أمر هذا الزواج عن عبد الناصر. وفي ضوء هذا كله، يفسر هيكل تصرفات المشير غير المتعقلة في الأيام السابقة على المعركة، وهي التصرفات التي أدت بالفعل إلى ازدياد فرص اندلاع القتال، على أنها كانت محاولة منه لإثبات نفسه ورجولته أمام زوجته الجديدة[35].

وإدراكًا منه أنه قد يسأل سائل: وكيف اختار عبد الناصر رجلًا بمثل هذا الضعف وبمثل هذه الهفوات ليسلمه مقاليد الجيش؟ يسارع هيكل بإلقاء اللوم على صلاح نصر، صديق عامر، ومدير جهاز المخابرات العامة. فينقل عن عبد الناصر حديثًا دار بينه وبين صلاح نصر عندما التقيا بعد النكسة بأيام. يقول جمال عبد الناصر "إن عبد الحكيم عامر كان قطة مغمضة حتى تولى صلاح نصر فتح عينيه على ما لم يكن يجوز له أن يتورط فيه. وراح صلاح نصر يقسم بأغلظ الأيمان أنه لم يكن له ذنب فيما تورط فيه عبد الحكيم

34 محمد حسنين هيكل، الانفجار، ص820.

35 محمد حسنين هيكل، الانفجار، ص394 وما بعدها.

عامر. وأنه يعترف بحقيقة أنه هو الذي قدم السيدة برلنتي عبد الحميد إلى المشير، ولكنه لم يكن يتصور أن تصل الأمور إلى الحد الذي بلغته."[36]

أما السبب الثاني للهزيمة، كما يراه هيكل، فيكمن في فشل عبد الناصر في إدارة المعركة سياسيًا لتفادى اندلاع القتال. يقول هيكل: "كان تقديره [أي عبد الناصر] أنه إذا استطاع أن يكسب وقتًا، وإذا أفلتت إسرائيل فرصة الرد المباشر على خطوة إغلاق خليج العقبة، فإن الصدام يمكن تفاديه. وعندما بدا له من سير الحوادث أن احتمالات الصدام تتزايد يومًا بيوم، فإنه لم يكن يعد نفسه لنصر عظيم. كان كل ما يريده معركة دفاعية تمتد أيامًا، وتبدو فيها وحدة العالم العربي وتضامن شعوب آسيا وأفريقيا، وينعكس أثر ذلك على الرأي العام العالمي، ممثلًا في الأمم المتحدة، مع ظهور أعراض أزمة في العلاقات بين القوتين العظميين، وساعتها يمكن الوصول إلى وقف لإطلاق النار، يبدأ البحث عن مخرج من الأزمة... [لكن] لا بد من القول إن جمال عبد الناصر في هذا التصور لمسار الحوادث كان لا يزال محكومًا بتجربته في السويس، في حين أن الأمور في هذه المرة كانت تندفع في اتجاه مختلف."[37]

إذن، فكما رأي عامر (وفقًا لشهادة عبد الصمد) أن الهزيمة كان لها بعد دولي يتمثل في غدر الاتحاد السوفيتي وخسته، رأى عبد الناصر أيضًا (وفقا لشهادة هيكل) أن من أسباب الهزيمة غدر الولايات المتحدة ودعهما غير المحدود لإسرائيل. فكتاب "**الانفجار**" يحفل بالإشارات المتكررة إلى "الحكومة الخفية" في الولايات المتحدة، وثلاثي "المخابرات والسلاح والبترول" الذي يحكم العالم، والتواطؤ الإسرائيلي-الأمريكي لاصطياد الديك الرومي، أي الإيقاع بعد الناصر والقضاء عليه. والرسالة العامة للكتاب واضحة: مصر مستهدفة، وهناك قوى كونية تعمل على إسقاطها.

نحن، إذن، أمام سرديتين عن الهزيمة وأسبابها، الأولى تأخذ صف المشير عبد الحكيم عامر وترى أن الجيش كان ضحية الحسابات السياسية، وأن القوات المسلحة مُنعت من خوض القتال في توقيت من اختيارها، واضُطرت إلى دخول المعركة في ظروف غير مواتية، وهو ما أدى إلى الهزيمة. ومن أهم مروجي هذا الرأي عبد الصمد محمد عبد الصمد في كتابه "**العشاء الأخير للمشير**"، كما ذكرنا، والفريق أنور القاضي في حديثه إلى مجلة "آخر

36 محمد حسنين هيكل، **الانفجار**، ص875.
37 محمد حسنين هيكل، **الانفجار**، ص828-829.

ساعة" المنشور منه حلقه واحدة في سنة 1988، والفريق أول صدقي محمود في حديثه إلى لجنة كتابة تاريخ الثورة المنشور ضمن الكتاب الذي حرره سليمان مظهر بعنوان **"اعترافات قادة حرب يونيو: نصوص شهاداتهم أمام لجنة تسجيل تاريخ الثورة"** الصادر سنة 1990، وشهادات عدد من الضباط الذين اشتركوا في حرب يونيو والمنشورة ضمن كتاب **"ضباط يونيو يتكلمون"** الذي حرره عصام دراز والمنشور سنة 1989.

أما السردية الثانية فتقدم الحقائق من وجهة نظر الرئيس جمال عبد الناصر. وأهم من عبّر عن هذه السردية محمد حسنين هيكل في كتاباته العديدة والغزيرة، والتي يعتبر كتابه **"الانفجار"** من أهمها، والفريق أول محمد فوزي في مذكراته **"حرب الثلاث سنوات"**، ومدير مكتب الرئيس عبد الناصر للمعلومات سامي شرف في مذكراته التي جاءت ضمن كتاب **"عبد الناصر: كيف حكم مصر؟"** الذي حرره عبد الله إمام ونشره سنة 1996، وأمين هويدي في كتاباته، ومن وأهمها **"أضواء على أسباب النكسة"** المنشور سنة 1975.

وبما أن الرئيس عبد الناصر عاد للحكم بعد تنحيه عن الحكم بأقل من 24 ساعة، وبما أن المشير عامر انتحر، أو استُنحر، بعد الهزيمة بثلاثة أشهر، وبما أن التاريخ يكتبه المنتصرون، فإن سردية عبد الناصر-هيكل هي التي شاعت، وشاع معها لفظ "النكسة" للتعبير عما حدث في تلك الأيام العصيبة من تاريخنا.

المركب اللي لها ريّسين

ليس الغرض هنا الحكم على هاتين السرديتين بالصواب أو العوار، بل التأكيد على أن هذا التضارب هو نفسه عنصر من عناصر الهزيمة، وأن الصراع بين عبد الناصر وعامر، الذي تعكسه هاتان السرديتان، سبب رئيسي، إن لم يكن السبب الرئيسي، وراء الهزيمة.

قبل تقديم عرض مختصر لملامح هذا الصراع وأسبابه وآثاره على العمليات العسكرية، تجدر الإشارة إلى أن هذا التناقض بين قطبي السلطة في مصر الخمسينيات والستينيات قد تناولته العديد من الكتابات الصحفية، وكان موضوع مسلسل تليفزيوني كتبه ممدوح الليثي وأذيع في رمضان 2014 بعنوان **"صديق العمر"**. أما الكتابات الأكاديمية التي تناولته فعديدة، إلا أن أهمها قاطبة دراسة حازم قنديل، أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة كمبريدج، عن النظام السياسي المصري.

حازم قنديل له عدة كتب عما يسميه "ثالوث السلطة"، الذي يقصد به تلك العلاقة الشائكة التي تربط المؤسسة العسكرية بمؤسسة الرئاسة بأجهزة الأمن. ولكن من أهم كتبه ذلك الصادر بالإنجليزية سنة 2012 بعنوان "**عسكر وجواسيس ورجال دولة: طريق مصر إلى الثورة**"[38].

يسرد قنديل في كتابه تاريخ هذا الثالوث غير المقدس من انقلاب يوليو 1952 إلى ثورة يناير 2011، ويتناول، بين أشياء كثيرة، علاقة الساسة بالعسكر، بدءًا من علاقة عبد الناصر بمحمد نجيب، مرورًا بعلاقة عبد الناصر بعبد الحكيم ومحمد فوزي، ثم علاقة أنور السادات بمحمد صادق وسعد الدين الشاذلي وعبد الغني الجمسي، ثم علاقة حسني مبارك بعبد الحليم أبو غزالة ومحمد حسين طنطاوي، وانتهاءً بعلاقة محمد مرسي بعبد الفتاح السيسي.

بخصوص حرب 67، يركز قنديل على أزمة الحكم المتمثلة في العلاقة المتوترة بين مؤسسة الرئاسة (عبد الناصر) والمؤسسة العسكرية (عامر). لا يغفل قنديل الإشارة إلى الطبيعة الشخصية لعلاقة عبد الناصر بعامر. فصداقتهما لم تكن صداقة عادية، بل كانت حميمية، فيها الود والمصاهرة والجيرة (منزليهما في المعمورة كانا متلاصقين). كان عامر بحكم زمالته لعبد الناصر في الكلية الحربية، واشتراكه معه في حرب فلسطين، وتخطيطهما معًا لانقلاب يوليو، من أقرب أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى عبد الناصر، وبالتالي كانت صداقته القريبة لعبد الناصر سبب حقد وغيره بقية أعضاء المجلس. كانت هذه الصداقة وثقة عبد الناصر المتناهية في عبد الحكيم عامر هي سبب إصرار هذا الأخير على أن يعهد إلى صديق عمره بقيادة الجيش. ونجح عبد الناصر بالفعل في أن يجبر محمد نجيب على ترقية عامر من رتبة صاغ إلى رتبة لواء مرة واحدة. وكان من نتائج هذه الترقية أن تقدم قائد سلاح الطيران، اللواء حسن محمود، باستقالته من القوات الجوية، ورفض أن يستمر في منصبه احترامًا لرتبة اللواء، وحلّ محله الطيار صدقي محمود الذي ظل قابعًا في مركزه كقائد لسلاح الطيران وكخادم مخلص لعبد الحكيم حتى هزيمة 67.

كغيره من المراقبين والدارسين، يتتبع قنديل مراحل علاقة عبد الناصر بعامر على مدار الخمسينيات والستينيات، ويشرح كيف استطاع عامر أن ينشئ قاعدة لسلطانه داخل

---

38 Hazem Kandil, **Soldiers, Spies and Statesmen: Egypt's Road to Revolt** (London: Verso Books, 2012).

القوات المسلحة، ويبني علاقات وارتباطات دعّمت من مركزه على حساب مراكز بقية أعضاء مجلس قيادة الثورة.

لكن سرعان ما ظهرت بوادر صراع خفي بين عامر وناصر. يقول أمين هويدي عن هذا الصراع: "كان صراعًا خفيًا يدور بينهما ولا يلمسه إلا رجال المطبخ الداخلي للرجلين، مع حرصهما على التظاهر أمام الناس بمظاهر الود والإخاء. وقد دفع هذا المشير عامر إلى أن يتخذ من الترتيبات التي تجعل من الصعب على عبد الناصر التخلص منه في المستقبل، كما تخلص من الزملاء الآخرين من قبل. فقد لا يعرف الكثيرون أنه مرَّ وقت ليس بالقصير بعبد الناصر لم يكن فيه قادرًا على أن يتدخل في قليل أو كثير في القوات المسلحة. فمثلًا حينما أراد عبد الناصر أن يتم تعيين بعض الرتب العالية في القيادات الحساسة عن طريق مجلس الرئاسة [الذي سنتناوله لاحقًا] لم يوافق المشير، وكان له ما أراد. وحينما أراد الرئيس أن يحيل قائد القوات البحرية الفريق سليمان عزت إلى المعاش، لإهمال تم في إحدى الرحلات التي قام بها الرئيس على ظهر إحدى مدمرات الأسطول اعترض المشير، وكان له ما أراد. وحينما أصر الرئيس على أن يستبعد المشير بعض أفراد مكتبه بعد أن أصبح سلوكهم محل تعليق الجميع، اشترط المشير على الرئيس أن يتخلص بدوره من عدد مساو من أفراد مكتبه، ولما لم يقبل الرئيس تجمد الموقف وبقي الحال على ما كان عليه."[39]

ويُجمع كل المراقبين على أن هذا الصراع أخذ ينمو منذ 1956 وحتى 1967، وأن أولى محطاته كانت في أعقاب العدوان الثلاثي، عندما رفض عبد الحكيم الانصياع إلى رغبات عبد الناصر وزملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة بضرورة تنحية المسئولين عن الأداء المخزي للجيش في الحرب. وقد حاول بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة أن يبلغوا عبد الحكيم عامر ما لمسوه وسمعوه "من ضباط القوات الجوية، ومن أنهم قد فقدوا الثقة في قياداتهم نتيجة للأخطاء التي حدثت، وأن هذا يستلزم منه بعض الإجراءات بالنسبة لهؤلاء القادة حتى تعود الثقة بين القادة ومرؤوسيهم. وعليه أن يجري تحقيقًا مع القادة الذين تسببوا بإهمالهم في هذه الأخطاء. وكان رأي الرئيس عبد الناصر أن صدقي محمود رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية وقتها يجب أن يُنقل إلى وكيل وزارة الحربية لشئون الطيران، ولكن المشير اعترض قائلًا "إن لهم عذرهم فيما حدث، وإذا كانوا أخطأوا فاعتبرني مسئولًا

39 أمين هويدي، **أضواء على أسباب نكسة 1967 وعلى حرب الاستنزاف** (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1975) ص25-26.

أيضا ومن المستحسن أن أستقيل أنا كذلك" وبالفعل قدم المشير استقالته في أواخر ديسمبر سنة 1956 ولكن بعد أن زاره جمال وطيّب خاطره، رجع في استقالته وسحبها يوم 2 يناير 1957"[40].

ثم أتت ثاني محطات الخلاف بعد الانفصال عن سوريا سنة 1961. إذ كان قد اتضح أن الانقلاب في سوريا خُطط له من داخل مكتب عبد الحكيم عامر شخصيًا، فرؤي ضرورة إبعاد بعض القيادات العسكرية التي كانت تعمل هناك، لكن المشير عامر اعترض ودافع عن هؤلاء القادة. كان عبد الناصر تحديدًا ضد عودة اللواء أنور القاضي، الذي كان يشغل منصب رئيس أركان الجيش السوري، واللواء أحمد زكي عبد الحميد، رئيس هيئة التنظيم والإدارة، والعميد أحمد علوي، كاتم الأسرار، والعقيد محمد استانبولي، مدير المخابرات الحربية. لكن المشير اعترض وبقي هؤلاء الضباط عامًا كاملًا بلا عمل حتى نجح المشير في إيجاد وظائف جديدة لهم. وكان من نتيجة هذه المواجهة بين الرئيس والمشير أن أدرك المشير أنه يستمد سلطته من القوات المسلحة، "فوثّق صلته بقادتها، وظل يواصل العطاء لكل من يطلب فيقرر المنح ويقدم الخدمات. وأهّلته طبيعته الشخصية لذلك حتى اكتسب حب المحيطين به، وأصبح للطفل المدلل أظافر وأنياب ولم يعد عبد الحكيم القديم"[41].

أما أنور السادات، فله رواية مختلفة بعض الشيء عن تلك المحطة من محطات الصراع بين الرئيس والمشير. إذ يقول في مذكراته "**البحث عن الذات**" إن عبد الحكيم عرض على جمال أن يستقيل من رئاسة الجيش بعد عودته من سوريا، وبعد أن عومل معاملة مهينة أثناء عملية الانفصال، قائلًا إنه لا يستطيع أن يستمر كقائد عام للقوات المسلحة بعد الإهانات التي وجهت إليه من جيش سوريا. ويؤكد السادات أن عبد الناصر رحّب بهذا الاقتراح "أشد الترحيب فقد، كان ينتظره أو يتمناه منذ معركة 56، ولكنه لم يشأ أن يُظهر لعامر ترحيبه باستقالته حتى لا يتراجع فيها، فقد كان كل منهما يعرف الآخر حق المعرفة ويتربص بالآخر في غيابه وحضوره". لكن وفقًا للسادات، فوجئ عبد الناصر بعامر يتصرف وكأنه مستمر في عمله كقائد عام "حينئذ أُسقط في يد عبد الناصر ولم يدر ماذا يفعل. طبعًا كان وراء تراجع عبد الحكيم مستشاروه، من أمثال شمس بدران وبعض خاصته

---

40 عبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي: الجزء الأول**، ص360-365.

41 أمين هويدي، **أضواء على أسباب نكسة 1967**، ص32.

وأهله وكان لهم تأثير سيء عليه، وإحساسه بأنه شريك عبد الناصر، فما دام عبد الناصر يحكم، يجب أن يظل عامر قائدًا عامًا للقوات المسلحة"[42].

أما أهم وأخطر محطات الصراع بين الرئيس والمشير فحدثت في 1962. فبعد أن أدرك أن صديقه لن يترك قيادة القوات المسلحة طواعية، قرر عبد الناصر أن يتحايل على عامر، وأن يدعوه إلى المشاركة في "مجلس للرئاسة" شكّله عبد الناصر بموجب القرار الجمهوري رقم 3874 لسنة 1962. انعقد هذا المجلس في 26 مارس 1962، وكان غرضه التخطيط والمتابعة لشئون الحكم، وكان من ضمن القرارات التي اتخذها ضرورة ترك المشير عامر قيادة القوات المسلحة لقائد محترف يكون مسئولًا مسئولية دستورية أمام الشعب، أي يُسأل ويُستجوب أمام مجلس الأمة مثله مثل سائر الوزراء. وبالفعل عرض الرئيس عبد الناصر فكرته على أعضاء المجلس فوافقوا جميعًا بما فيهم المشير عامر. ولكن عبد الناصر فوجئ بشمس بدران يحضر له نيابة عن عبد الحكيم بعدها بأيام، ويقول له إن المشير سحب موافقته على قرارات المجلس الرئاسي وأنه ما زال متمسكًا بقيادته للقوات المسلحة، وأنه سافر في رحلة بحرية في البحر الأحمر[43]. عندها جن جنون عبد الناصر، واستدعى أعضاء مجلس قيادة الثورة للاجتماع به وطرح الأمر عليهم، فقالوا له إن "هذا الأمر لا يحتاج إلى مناقشة فرأينا يا جمال [والكلام للسادات] أن عبد الحكيم كان يجب أن يترك القيادة منذ 56 لا في 61. صحيح أنه شهم ولطيف إلخ، لكنه لا يصلح من ناحية العمل العسكري. باختصار قلنا جميعا وفي نفس واحد لجمال إن استبعاد عامر من الجيش مسألة مفروغ منها ولا تقبل الجدل"[44].

وفي نوفمبر 1962 حاول أعضاء مجلس الرئاسة دعوة المشير إلى الحضور في غياب الرئيس عبد الناصر، وطلبوا منه تخويل المجلس سلطة التعيين والترقي في الرتب من عقيد فأعلى، فرفض المشير وسافر غاضبًا إلى مرسى مطروح. ولم يكتف بذلك، بل صعّد الأمر بأن قدم استقالته في 1 ديسمبر 1961، وذيّل استقالته بتهديد مبطن لعبد الناصر وأعوانه: "أرجو ألا يحدث مني أو منك ما يجعل ضميرنا يقدم على عمل نخشى الإقدام عليه، أو يجعلنا صغارًا في أعين أنفسنا." وما أن علم زملاء المشير بأمر الاستقالة حتى تجمعوا في مبنى القيادة فيما يشبه المظاهرة العسكرية وطالبوا بعودة المشير. عندها رضخ عبد الناصر لهذا

42 محمد أنور السادات، **البحث عن الذات**، ص206-207.

43 محمد فوزي، **حرب الثلاث سنوات**، ص 32-33.

44 محمد أنور السادات، **البحث عن الذات**، ص207.

الابتزاز، ووافق على عودة المشير إلى قيادة القوات المسلحة مع منحه لقب "نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة".

ويعلّق عبد الحكيم عامر على انتصاره على جمال عبد الناصر في حديث له مع شلته في أعقاب هزيمة 67 بالقول: "مسألة اختصاصات [نائب القائد الأعلى] هي سبب استقالتي سنة 1962، وسلبي إياها يعني تمامًا إبعادي عن الجيش، وهي أمنية جمال من حداشر سنة. ولما استقلت وقتها لو كان يقدر يقبل الاستقالة كان قبلها، ولو كان قادر يعزلني كان عزلني! [ولكن عبد الناصر لم يقدر على ذلك]. فالمسألة مش زي الناس ما هم فاهمين إن اللي بيننا صلات وعواطف بتتدخل في القرب والبعد والمناصب. اللي بيننا فرض وجود على غير إرادته. فلا يمكن لجمال أن [يقبل أن] يشترك معه واحد في الرأي، أو يقبل أن واحد يرفض له رأي علشان سواد عيون الصداقة والعواطف."[45] بمعنى آخر، فالمشير يؤكد أن عبد الناصر أُرغم على رفض استقالة سنة 1962 ليس بسبب الصداقة والود، ولكن لخوفه من تهديد عامر له باستخدام الجيش ضده.

أمّا وقد خرج عامر منتصرًا على عبد الناصر في أعقاب هذه المواجهة الخطيرة، فقد عمل على تعضيد مكانته في الدولة وإحكام قبضته على الجيش. ففي سنة 1966 أجبر عبد الناصر على إصدار قرار جمهوري سلبه سلطة الإشراف على القوات المسلحة، وتسليم هذه السلطة له، أي للمشير عامر. إذ نص القرار رقم 1956 لسنة 1966 على أن "يتولى السيد شمس بدران وزير الحربية معاونة نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة في ممارسة اختصاصاته وسلطاته، ويكون مسئولًا أمامه عما يفوضه فيه من شئون القوات المسلحة من الناحيتين الإدارية والعسكرية".

وإعمالًا لسلطته الجديدة الموسعة، أصدر المشير عامر قرار نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة رقم 367 لسنة 1966 بشأن تحديد اختصاصات ومسئوليات السيد شمس بدران وزير الحربية. ونص هذا القرار على أن تتبع وزير الحربية أجهزة القوات المسلحة الآتية: كاتم أسرار حربية (وهو الذي يتولى شئون الترقيات بين الضباط)، وإدارة المخابرات الحربية (وهي المعنية بما يعرف بـ"أمن" القوات المسلحة، أي التجسس على الضباط للحيلولة دون قيامهم بانقلاب)، وإدارة الشئون العامة، وإدارة التوجيه المعنوي. فإذا علمنا أن شمس بدران كان ربيب المشير عامر، وأنه كان مدير مكتبه لمدة طويلة قبل تعيينه وزيرًا

45 عبد الصمد محمد عبد الصمد، **العشاء الأخير للمشير**، ص67.

للحربية، وإذا انتبهنا لغرابة هذا القرار الذي يجعل الوزير السياسي مسئولًا لا أمام الرئيس أو رئيس الحكومة أو (لا سمح الله) البرلمان، بل أمام قائد الجيش، لاتضح لنا مدى سيطرة المشير عامر على الجيش، ولاكتشفنا كيف غُلّت يد عبد الناصر عن كل الأمور العسكرية في البلاد، وكيف انتصر عليه صديق عمره في هذا الانقلاب الأبيض.

وفي محاولة منه لتقليل خسائره، حاول عبد الناصر في سنة 1964 أن يحدّ من سيطرة المشير على الجيش، فعين الفريق أول محمد فوزي رئيسًا للأركان. لم يكن عامر يطيق فوزي لأسباب كثيرة، من أهمها أن الأخير كانت له صلة قرابة بمدير مكتب عبد الناصر سامي شرف، الذي كان بدوره في صراع وجودي مع أعضاء شلة المشير، وأهمهم وزير الحربية شمس بدران، ووزير الداخلية السابق عباس رضوان.

على أن عامر لم يقف مكتوف اليدين إزاء هذا التحدي، بل أصدر قراره رقم 118 لسنة 1966 الذي نص على أن "1. يدمج مكتب نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة ومكتب رئيس هيئة أركان القوات المسلحة في إدارة واحدة بالقيادة العليا للقوات المسلحة؛ 2. تنشأ إدارة جديدة تتولى أعمال الأركان حرب بالقيادة العليا برئاسة ضابط يسمى مدير الأركان بالقيادة العليا". وبالفعل تقرر تعيين اللواء على عبد الخبير، وهو من شلة المشير، "مدير أركان حرب القوات المسلحة".

ويعلّق الفريق أول محمد فوزي على هذا القرار بقوله: "وبصدور هذا القرار مع الانتهاء من إنشاء وتكوين قيادة القوات البرية، وحصولها على المسئوليات والسلطات لكل من يرتدي الكاكي، أي الزي العسكري، وتوزيع هيئات وإدارات وأركان القيادة العامة ورئاسة الأركان معًا في مكتب المشير وشمس بدران، أصبحت أنا ووظيفتي بدون مسئولية قيادية أو سلطة، بل ومحاصرًا أيضًا من وجهة النظر الأمنية. وفي ظل كل تلك الظروف، لم يعد لي إلا الصبر والثقة الشخصية للرئيس عبد الناصر الذي اختارني لهذا المنصب."[46]

... تغرق

هذا هو الوضع الذي كان عليه الجيش عشيَّة الحرب: صراع عميق في صلب الدولة بين قطبي السلطة، واستقلالية للجيش حتى صار دولة داخل الدولة، وغياب أي رقابة على المؤسسة العسكرية، ليس فقط من الشعب بممثليه في البرلمان أو في الصحافة، بل أيضًا

46 محمد فوزي، حرب الثلاث سنوات، ص38-39.

من الحكومة أو من الرئيس نفسه، وانقسام في القيادة العليا للجيش بين أنصار المشير وأنصار الرئيس.

كثيرًا ما نقرأ عن النزاع بين الساسة والعسكر في أدبيات العلوم السياسية المعنية بدراسة العلاقات المدنية–العسكرية. وفي الأدبيات المتعلقة بحرب 67 تحديدًا، هناك العديد من المؤلفات التي تناولت الخلاف بين الوزراء وقادة الجيش في إسرائيل طوال أزمة مايو 67. فالساسة، بقيادة رئيس الوزراء ليفي إشكول، كانوا يحبذون التريث والانتظار ومد الجسور مع واشنطن. أما العسكر، بقيادة رئيس الأركان إسحق رابين، فكانوا يقولون بضرورة شن هجوم مباغت للقضاء على الجيش المصري قبل التحول إلى القضاء على الجيشين السوري والأردني. وقد حُسم هذا الخلاف أخيرًا بتخلي إشكول عن حقيبة الدفاع والإتيان بموشي ديان وزيرًا للدفاع في الأول من يونيو 1967.

على أن ما شهدته الحالة المصرية لم يكن هو ذلك النزاع الكلاسيكي بين أصحاب السيف وأصحاب القلم، بل كان حربًا ضروسًا داخل المؤسسة الحاكمة، بل وداخل الجيش نفسه. هذا لم يكن خلافًا بين رؤى مختلفة حول كيفية مواجهة عدو خارجي، بل صراعًا داخليًا على السلطة، انعكست آثاره على جاهزية الجيش للقتال، ودفع ثمنه أبناء الوطن بدمائهم وحياتهم ومستقبلهم.

هذا الاقتتال الداخلي هو ما يفسر لنا الكثير من المسائل الملغزة عن الحرب، ومنها مثلًا ذهاب الفريق فوزي إلى دمشق يوم 14 مايو لتفقد الجبهة السورية والتحقق من وجود حشود إسرائيلية هناك، ثم عودته في اليوم نفسه ليجد أن قرار التعبئة العامة وحشد القوات لسيناء الذي اتُخذ صباح ذلك اليوم لم يُراجع أو يُلغى، رغم اكتشافه أن الإسرائيليين لم يحركوا قواتهم كما زعمت الأخبار السوفيتية[47].

هذا الاقتتال الداخلي هو ما يفسر سر إصرار المشير عامر على تفقد الجبهة، وجمعه كل القادة الميدانيين لاستقباله في مطار بير تمادة صباح يوم 5 يونيو، وهو اليوم نفسه الذي

47 نحن ممنوعون من الاطلاع على محضر اجتماع القيادة العليا الذي عُقد في هذا اليوم، وهو الاجتماع الذي غاب عنه عبد الناصر كما سبق التوضيح. وبالتالي فليس من الممكن التيقن من سبب إيفاد الفريق فوزي إلى الجبهة السورية. ولكن شواهد الأمور تشير إلى أن المشير عامر وشلته (الوزير شمس بدران، والفريق أول صدقي محمود، واللواء على عبد الخبير، والفريق جمال عفيفي، والفريق عبد المحسن مرتجي) كانوا قد حسموا رأيهم بضرورة التصعيد بغض النظر عن نتائج زيارة فوزي.

تنبأ عبد الناصر أن تقوم إسرائيل بهجومها فيه. هذا الاقتتال الداخلي هو أيضًا ما يفسر تضارب المواقف الذي شاهده الطيارون في قاعدة أبو صوير يوم 22 مايو، عندما زارهم الرئيس وأكد لهم أنه لا يريد تصعيد الأمر في اتجاه الحرب، فإذا بهم يسمعون المشير يؤكد لهم "ما تخافوش يا ولاد. والله هنحارب". وهو كذلك ما يفسر سر استدعاء عبد الناصر لعامر صباح يوم 27 مايو ليأمره بإلغاء الخطة "فجر" التي وصلته أنباؤها عن طريق تل أبيب–واشنطن–موسكو، دون أن يكون قد سمح بها أو صَدّق عليها، في مخالفة صريحة لتنبيهه يوم 25 مايو في مؤتمر القيادة العامة بعدم القيام بخطط هجومية.

هذا الاقتتال الداخلي هو ما يفسر فوق ذلك كله عدم التناغم بين الأوامر العسكرية التي كانت تصدرها القادة العليا قبل وأثناء المعركة. فتسلسل القيادات قد أصابه التضارب والخلل، وأصبح للجيش ثلاث قيادات: قيادة عليا في القاهرة (هي نفسها منقسمة على ذاتها بين أنصار المشير عامر وأنصار الفريق فوزي)، وقيادة الجيش الميداني برئاسة الفريق صلاح محسن، وقيادة ثالثة سميَّت قيادة الجبهة الشرقية برئاسة الفريق أول عبد المحسن مرتجي الذي كان يعي حقيقة التضارب بين القيادات، وبالتالي عرّف نفسه في صدر كتابه عن الحرب بأنه "قائد لجبهة سيناء –مع وقف التنفيذ– سنة 1967"[48].

هذا الاقتتال هو ما يفسر أيضًا سر انزعاج قائد الجيش الميداني الفريق صلاح محسن، وطلباته المتكررة من القيادة العليا توضيح الصورة، ثم إيفاده رئيس هيئة عملياته، اللواء أحمد إسماعيل علي، في يوم 27 مايو للتباحث مباشرة مع رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، الفريق أنور القاضي، في القاهرة بعد فشله في الحصول على إجابات على أسئلته. كانت الأسئلة المطلوب الإجابة عليها جوهرية وأساسية، وهي توضح مدى انزعاج القوات في سيناء من ضبابية الموقف: ما هي مهمة الجيش الميداني بالتحديد؟ ما هي خطط العمليات الهجومية ومدتها؟ ما الذي تريده القيادة العليا من الجيش الميداني؟ ما هي نواياها وتصميمها؟ وهل استراتيجيتنا دفاعية أم هجومية أم تجمع بين الحالتين؟ وهل إذا بدأ الهجوم من جانبنا سيكون شاملًا أم محدودًا؟ تلك هي الأسئلة التي ذهب بها اللواء أحمد إسماعيل إلى القاهرة، ولكنه عاد خالي الوفاض[49].

---

48 عبد المحسن مرتجي، **الفريق مرتجي يروي الحقائق**، ص6.

49 عبد المحسن مرتجي، **الفريق مرتجي يروي الحقائق**، ص6.

الاقتتال الداخلي أخيرًا هو ما يفسر الوصف الآتي الذي قدمه عبد المحسن مرتجي لأحوال الجيش على الجبهة عشية الحرب، تحديدًا يوم 27 مايو: "وصلَت في هذا اليوم البلبلة والغموض والتيه وعدم وضوح الهدف إلى الذروة، فالخطة الدفاعية "قاهر" التي اتُخذت أساسًا للعمل، تمتكت وتمزقت وفقدت فاعليتها وقدرتها الدفاعية، وانهارت فكرتها الأساسية. فوحدات تُرسل إلى سيناء بمهام لا تلبث وهي في طريقها لتنفيذها أن تأخذ مهامًا أخرى مختلفة، ووحدات تُرسل بدون مرتبات الحرب بأمل أن تصلها هذه المرتبات في أماكن تمركزها الجديدة ولكنها لا تصل، وأخرى يُنزع من صلب تنظيمها وحدات صغرى أخرى من قوات أخرى لا تعرف عنها شيئًا، ولا تدري عن مستواها القتالي شيئًا أكثر من كونها وحدات الاحتياط المستدعى على وجه السرعة، ولم يتح لها أي فترة للتدريب القتالي أو الإداري، وعمليات هجومية توضع ثم يدخل عليها التعديلات التي تبعدها عن هدفها الأصلي، ومناطق المفروض أن تكتفي ذاتيًا في الدفاع عن حدودها ثم لا تلبث أن يُوجه لها الاهتمام فتُزود بالقوات على حساب مناطق أخرى. وهكذا أصبح الضعف موجود في كل مكان، في الأفكار، في الاستعداد، في كفاءة الوحدات المقاتلة، في سلامة الدفاعات، في هضم المهام المكلفة بها القيادات على مختلف المستويات."[50]

الهزيمة الهيكلية والمستمرة

يحفل كتاب هيكل "**الانفجار**" بالإشارات عما يسميه "الحكومة الخفية" في الولايات المتحدة، وعن "ثلاثي المخابرات والسلاح والبترول" الذي يحكم العالم، وعن التواطؤ الإسرائيلي-الأمريكي لاستدراج عبد الناصر والإيقاع به نتيجة تزعمه حركات التحرر الوطني في العالم الثالث. مما لا شك فيه أن كل هذه العناصر والخطط والمؤامرات حقيقية ولها وجود. فهناك بالفعل قوى مؤثرة تعمل في الولايات المتحدة في الخفاء، بعيدًا عن سيطرة الكونجرس ورقابة الصحافة، وهناك أيضًا تشابك عالمي في المصالح بين تجار السلاح وسماسرته، وشركات البترول ومشايخه، ورجال المخابرات وجواسيسها، وهذا التشابك له دور محوري في رسم سياسات الدول، العظمى منها والصغرى. كما أنه ليس خافيًا مدى التعاطف والترابط والتنسيق الذي جرى (وما يزال يجري) بين الولايات المتحدة وإسرائيل. وتوضح الوثائق المنشورة مؤخرًا والصادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية والتي تغطي فترة

---

50 عبد المحسن مرتجي، **الفريق مرتجي يروي الحقائق**، ص87.

حرب 1967[51] مدي التواطؤ بين إسرائيل وكل مؤسسات صنع القرار في واشنطن، وخصوصًا البيت الأبيض. كما أنه ليس خافيًا عداء القوى الاستعمارية، سواء في بريطانيا أو الولايات المتحدة أو إسرائيل، لعبد الناصر ولجهوده في دعم حركات التحرر الوطني في الخمسينيات والستينيات.

على أن ما يلفت النظر هنا، هو الغياب شبه التام في سردية هيكل لوجود تنظيم داخل مصر مماثل لتلك التنظيمات السرية التي استهوته وجذبت اهتمامه على الصعيد العالمي. أقصد هنا تحديدًا ذلك التنظيم المهول الذي بناه المشير عامر على مدار خمسة عشر عامًا، والذي يشار إليه أحيانًا بتنظيم "الدولة داخل الدولة"؛ هذا التنظيم كان عماده الجيش، تلك المؤسسة التي استأثر عامر بها ومنع عبد الناصر من التدخل في شئونها، بل استخدمها لتهديده وفرض إرادته عليه.

إن الاقتتال الداخلي في الحكومة الخفيّة في مصر، لا في الولايات المتحدة، هو السبب الرئيسي في هزيمة 1967. هذه الحكومة الخفيّة التي كان يديرها المشير عبد الحكيم عامر أدت إلى وضع كارثي؛ وضع أصبحت البلد فيه برئاستين أو أكثر. فكما قال عبد الناصر نفسه في أعقاب الهزيمة، أدى تدخل المؤسسة العسكرية في إدارة البلاد إلى دخولها في صراعات القوى والمؤسسات السياسية في الدولة، فظهرت جماعة على صبري بالاتحاد الاشتراكي العربي، وظهرت جماعة زكريا محيي الدين في وزارة الداخلية، إلخ. وفي اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي يوم 4 يوليو 1967 قال عبد الناصر تعليقًا على هذه الأوضاع: "لقد تفككت الدولة لأحزاب عديدة غير معلنة: حزب عبد الحكيم، حزب زكريا، حزب علي صبري. بهذا الشكل حدث تفسخ في الوزارة، بل تفككت الدولة نفسها."[52]

هل معنى هذا أن عبد الحكيم عامر هو المسئول وحده عن الهزيمة المروعة؟ بالطبع لا. عبد الناصر مسئول أيضًا. فهو الذي اختار صديق عمره وأولاه أمور الجيش سنة 1954. أما لماذا وكيف استطاع عامر أن يبسط سلطانه على الجيش وأن يستخدمه كسلاح في

51 Harriet Dashiell Schwar (ed.), Foreign Relations of the Unites States, 1964-1968, Volume XIX, Arab-Israeli Crisis and War, 1967 (Washington: United States Government Printing Office: 2004).

52 جريدة الأهالي، 27 يوليو-3 أغسطس 1983، مقتبس من ممدوح أنيس فتحي، **مصر من الثورة إلى النكسة**، ص355، هامش144.

وجه عبد الناصر، فذلك أيضًا كان نتيجة سياسات عبد الناصر وقراراته. فتسليم الجيش لعبد الحكيم لم يكن بسبب سواد عيونه، كما قال المشير نفسه، كما لم يكن بسبب إيمان عبد الناصر بقدرات عامر العسكرية، بل كان السبب هو ثقة ناصر أن صديق عمره، بشخصيته المحبوبة داخل المؤسسة العسكرية، قادر على تأمين الجيش، أي على الحيلولة دون وقوع انقلاب عليه من داخل الجيش.

فعبد الناصر وصل إلى الحكم عن طريق انقلاب، وهو أول من كان يعي خطورة قيام الجيش بانقلاب ثان. فكما يقول صلاح الدين الحديدي في تفسيره لكيفية تبلور فكرة الانقلاب العسكري في أذهان صغار الضباط في الأربعينات من القرن العشرين، كان عبد الناصر يتابع "المثل الكبير الناجح في الانقلاب الذي قام به حسني الزعيم في سوريا، واستيلائه على الحكم، وأوضح هذا الانقلاب إمكانية تنفيذ الفكرة. [على] أن الانقلاب التالي الذي قام به العقيد الحناوي لم يؤكد إمكانية تنفيذ الفكرة فحسب، بل أكد سهولتها ويسرها، كما أوضح ضرورة تأمين مثل هذه الحركات [الانقلابية]، وأن هذا التأمين يتركز إلى أبعد حد ممكن في القوات المسلحة ووحدتها والسيطرة عليها"[53].

إذن، فقد كان الخوف من "إننا نبقى زي سوريا والعراق"، والتمسك بضرورة الحفاظ على وحدة القوات المسلحة والسيطرة عليها، هي العوامل التي دفعت عبد الناصر إلى تسليم الجيش لصديق عمره. فكما قال "من المستحيل أن يوكل أمر الجيش لشخص غريب وليس منا فيتحكم في رقابنا"[54].

على أن عبد الناصر لم يكتف بتسليم الجيش إلى عبد الحكيم عامر كي يؤمّن الجيش ويستقر له الحكم، بل ألغى الأحزاب، وزوَّر الانتخابات، وقضى على استقلالية الجامعات والقضاء، وأطلق العنان لأجهزة الأمن تتصارع فيما بينها، وأجهز على النقابات العمالية والمهنية، وأباد المعارضة التي احتكمت للشارع، سواء كانت الإخوان المسلمين أو الشيوعيين.

وبعد أن قضى عبد الناصر على الحياة السياسية، لم يعد في البلاد أية مؤسسة أو هيئة أو تنظيم يمكن الاستعانة بها لمساءلة الجيش أو محاسبته. فمن اللافت للنظر طوال الأزمة التي أفضت إلى اندلاع القتال يوم 5 يونيو، غياب أي دور لمجلس الدفاع الوطني، أو مجلس

53 صلاح الدين الحديدي، **شاهد على حرب 1967**، ص76.

54 عبد اللطيف البغدادي، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي: الجزء الأول**، ص78.

الأمة، أو مجلس الوزراء. وكان المجلس الوحيد الذي اعتمد عليه عبد الناصر في محاولة لكبح جماح المشير هو مجلس قيادة الثورة، وهو كيان غير موجود أصلًا، إذ أنه كان قد حُل سنة 1956 بعد انتخاب عبد الناصر رئيسًا للجمهورية بأغلبية 99.99%، وهو بهذا المعنى ليس أكثر من الشلة التي قامت بانقلاب يوليو 52. وما كان اعتماد عبد الناصر على رفاق دربه القدامى في هذا الأمر، سوى محاولة يائسة منه للتشبث بما قد يكون مازال موجودًا من تأثير معنوي لهؤلاء الرفاق على زميلهم المنفلت زمامه.

لكن عندما حاول الرئيس عبد الناصر أن يُخضع الجيش لسلطته انقلب السحر على الساحر، وتمرد عبد الحكيم، صديق عمره، عليه. فعبد الحكيم عامر لم يعد قطة مغمضة، بل أصبحت له أظافر وأنياب، كما قال عبد الناصر نفسه، وأصبح قادرًا على إدارة شئون الجيش كعزبة يمتلكها. وكانت النتيجة أن تصيدت إسرائيل هذه الفرصة الذهبية، وأوقعت بنا هزيمة نكراء قل مثيلها في التاريخ العسكري.

بعد الهزيمة أدرك الرجلان أن معركتهما معًا أخذت بُعدًا دراميًا، وصُعِّدت إلى مستويات يصعب فيها بقاءهما معا، فأمسى السؤال: من سيقضي على الآخر أولًا؟ حاول المشير تكرار مواجهة 1962، فجمع ضباطه في مقر القيادة يوم 11 يونيو، وتظاهروا مطالبين يعودته إلى منصبه. إلا أن عبد الناصر لم يرضخ هذه المرة، ورأي في الهزيمة العسكرية فرصة ثمينة للتخلص من خصمه اللدود مرة واحدة وإلى الأبد. وفي محاولة يائسة لتفادي مصيره المحتوم، حاول المشير المعزول القيام بانقلاب ضد الرئيس، وطوال شهور يونيو ويوليو وأغسطس تحصن في بيته بالجيزة، واستقطب الضباط الذين فقدوا مناصبهم بعد الهزيمة، واستدعي رجالات قريته، أسطال، من المنيا، ونقل أطنان من الأسلحة والذخيرة لبيته انتظارًا لساعة الصفر التي حددها بيوم 27 أغسطس، إلا أن عبد الناصر علم بأمر مؤامرة الانقلاب، وفي يوم 25 أغسطس أمر الفريق فوزي، الذي استطاع تعيينه يوم 11 يونيو قائدًا عامًا للجيش، بالهجوم على بيت المشير واصطحابه إلى استراحة تابعة للمخابرات الحربية حيث انتُحر يوم 14 سبتمبر.

وما هي إلا أسابيع قليلة حتى أُلقى القبض على أطراف المؤامرة، ومثلوا جميعًا، وعددهم خمسة وخمسون ضابطًا، أمام محكمة استثنائية شكَّلها عبد الناصر ورأسها حسين الشافعي، الزميل والصديق وعضو مجلس قيادة الثورة القديم، ونالوا أحكامًا تراوحت بين السجن المؤبد والطرد من الخدمة.

أما الهزيمة العسكرية، فقدْ شكلت لجان سرية لتحديد المسئولية عنها، وعُقدت محكمة عسكرية برئاسة صلاح الدين الحديدي لمحاكمة قادة الطيران، ورؤي تقديم الفريق أول صدقي محمود كبش فداء لتهدئة الرأي العام الذي كان يرى أن مسئولية الهزيمة لا تنحصر في شخص بعينه، بل هي هزيمة هيكلية. وعندما جاءت الأحكام مخففة، وبدا للناس أن الأسباب الهيكلية التي أدت للهزيمة لم تتناولها وقائع المحاكمة، انفجرت الثورة داخل الجامعات، وانضم لها عمال حلوان في مظاهرات كانت الأولي من نوعها طوال حكم عبد الناصر.

وفي محاولة منه لنزع فتيل الأزمة، ألقى عبد الناصر ما يعرف بـ"بيان 30 مارس" الذي وعد فيه بإجراء بعض الإصلاحات السياسية وبعودة الديمقراطية. إلا أن شيئًا من هذا لم يحدث، وظلت الحياة السياسية لمدة عقود قادمة، وعلى مدار ما تبقى من حكم عبد الناصر، ثم حكمي السادات ومبارك، تدار كما أراد لها عبد الناصر، أي منحصرةً بين مؤسسة الرئاسة والجيش والأجهزة الأمنية، مع ظهور مفاجئ للقضاء أو البرلمان أو الصحافة.

وبقي الحال على ما هو عليه حتى اندلعت ثورة يناير 2011 التي هي؛ في المحصلة النهائية، محاولة من جانب جموع الشعب، على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم، أن يكون لهم دور في إدارة شئون بلدهم، وأن يكونوا رقمًا في معادلة الحكم التي أبعدوا عنها. وبعد مرور أكثر من ست سنوات، لا تزال جموع الشعب تجاهد في ثورتها لتغيّر من طبيعة الدولة المصرية، ولتضع حدًا لهزائم تلك الدولة الهيكلية والمستمرة.